ساحر بابل

روايَة

للدكتور/ ياسر عبدالسلام

المؤلف: دكتور/ ياسر محمد محمد عبدالسلام

الناشر: دار نهر الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف والإخراج الفني: القسم الفني بدار نهر الكتب (لوجوتيلز)

المراجعة اللغوية: سحر محمود

رقم الإيداع: ٧٠٩٩ /٢٠٢٠م

الترقيم الدولي: ٣- ١٨ -٦٧١٧-٩٧٧-٩٧٨

المدير العـــام: هالة رجـب

رئيس مجلس الإدارة: محمد محمد هيكل

جميع الحقوق محفوظة لدار نهر الكتب للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة الدار يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، والآراء والمادة العلمية الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

جمهورية مصر العربية

موبايل:٠٠٢٠١٠٦٩٦٤٨٠٠٨ ــ ٠٠٢٠١٠٢٢٤٤٣٤٧٢

البريد الإلكتروني: nhrelkotob@gmail.com

إهـــــداء

إلى روح والدي رحمه الله.. إلى عائلتي الكبيرة أمي واخوتي..

إلى زوجتي وأولادي.. أصدقائي وزملائي..

إلى روح أستاذنا الفاضل

د/ أحمد خالد توفيق عراب هذا الجيل أهدي هذا العمل.

طنجة

انطلقت شابة بأواخر العقد الثالث من العمر متوسطة الجمال في شوارع حي (مرشان) عروس مدينة (طنجة) ساحرة البوغاز المغربي بمقاهيها الساحرة ومبانيها الجميلة وشوارعها الساحلية الساحرة، وبدا التفكير العميق على ملامح تلك السيدة وهي تجوب الشوارع الهادئة وهي تضع كفيها في البالطو الثقيل الذي يلف جسدها كله من ركبتيها حتى أذنيها، بينما تزين شعرها بتلك القبعة الفرو الجميل الذي لم يخفِ كل شعرها الداكن الذي تدلى من تحت القبعة لينسدل على كتفيها، وترقرقت حبات المطر الخفيفة على خصلاتها وعلى البالطو الداكن.

ظلّت السيدة تطوف الشوارع الهادئة بنظراتها الشاردة وخطواتها البطيئة حتى توقفت فجأة وتمتمت وهي تحدث نفسها:

- حسنا فليكن، ماذا يمكن أن يحدث؟

ثم أشارت إلى سيارة أجرة لمحتها من بعيد قبل أن تعدو إليها بخطوات واسعة تحت حبيبات المطر وتهمس له بعنوانٍ، لتنطلق السيارة تقطع شوارع المدينة حتى تقف أمام حي سكني وتنزل السيدة بينما تنطلق السيارة سريعًا.

وقفت الشابة للحظات وهي تنظر إلى مبنى سكني منخفض العلو قبل أن تأخذ نفسًا طويلًا وتبدأ في صعود درجات السلم وتتوقف أمام باب

خشبي متهالك وعلامات التردد تظهر عليها قبل أن تطرق الباب بيد مرتعشة.

مضت لحظات قليلة قبل أن يفتح الباب رجلٌ في أوائل الأربعينيات من عمره قصير القامة ممتلئ بعض الشيء طويل الشعر، وما إن رآها حتى تهللت أساريره:

- إذن فقد قررت الحضور.

أومأت السيدة برأسها إيجابًا، فمال القصير نحوها وقال بصوت خافت:

- أأحضرتي ما طلبناه منك؟

ومرة أخرى أومأت السيدة المغربية برأسها، فتبسم القصير وهو يفسح لها الطريق للدخول:

- مرحبا بكِ إذن سلسبيل.

وقفت سلسبيل للحظات وهي تتلفت حولها كأنما تود لو أنها تعود من حيث أتت أو أن تعدو مبتعدة ولكنها في النهاية أخذت نفسًا عميقًا وهي تخطو داخل البيت العتيق.

كان البيت مكون من غرفة واحدة جلس بها عدد من المغاربة بزي أبيض، تتراوح أعمارهم ما بين الأربعين والستين، وإن كان الظلام يغلف معظم الغرفة إلا من شمعة قصيرة ممتلئة، وضعت في منتصف المنضدة المستديرة التي التف حولها الرجال.

- والآن اعطني إياها.

قالها القصير وهو يمد يده لسلسبيل.

- ماذا ستفعل بها مصطفى؟

ابتسم مصطفى:

- لا تقلقي سلسبيل، سيكون الأمر مسليًا، كما أنك ستحصلين على المبلغ المتفق عليه وهو كفيل بحل كل مشاكلك وديونك وسيتبقى معكِ مبلغ منه يمكنك أن تبدأي مشروع خاص بكِ.

وقفت سلسبيل مترددة وهي تحدق في عيني مصطفى كأنما تحاول الولوج إلى أعماقه ومعرفة نواياه:

- لم تقل لي ما الذي تنوي فعله؟

- لا تقلقي، هؤلاء هم أفضل سحرة بالمغرب، فقط يريدون إلقاء نظرة عليها.

أدارت سلسبيل عينيها في أرجاء المكان وبين عيون الرجال المتعطشة ثم حسمت أمرها ومدت يدها في حقيبتها لتخرج قطعة جلد مهترئة عليها بعض النقوش والكلمات الغريبة بلغة غير مفهومة، وما أن رآها مصطفى حتى اختطفها من يدها وتوجه بها إلى المنضدة المستديرة حيث يجلس الرجال.

التفت أعين الرجال حول قطعة الجلد وأخذوا يتهامسون فيما بينهم لمدة دقيقة قبل أن يعود مصطفى مبتسمًا إلى سلسبيل ملتقطًا حقيبة جلدية في طريقه:

- إنها أصلية.

قالها مصطفى وهو يعطيها الحقيبة:

- يمكنك الانصراف الآن سلسبيل.

نظرت سلسبيل نحو الرجال الذين وضعوا المخطوطة بينهم وجلسوا محيطين بالمنضدة المستديرة:

- ما الذي يفعلونه الآن؟

- إنهم يستعدون لإلقاء التعويذة، ولكن لا تقلقي نفسك بهذا الشأن يمكنك أخذ مالك والانصراف.

استدارت سلسبيل بالفعل وهي تهم بالانصراف ولكنها عادت قبل خطوة واحدة من الباب وهي تقول:

- ولكنني أود البقاء والمشاهدة.

- لن تفهمي شيئًا من تلك التعويذة فهي خليط من اللغة السومرية ولغة الفراتيين الأوائل ولغة الشياطين.

- لا بأس، أود فقط الجلوس والمراقبة.

تبسم مصطفى:

- لا بأس، ولكن فلتجلسي على ذلك الكرسي الذي في الركن ولا تنطقي بأي كلمة؛ فتلك التعويذة قوية ولا أود أن يصيبك مكروه.

أومأت سلسبيل برأسها إيجابًا ثم إتجهت بهدوء لتجلس بركن الغرفة المظلمة وهي تراقب الموقف بقلق شديد، كم رغبت تلك الفتاة في الركض نحو تلك المنضدة وخطف المخطوطة والركض بها خارج ذلك المكان.

ولكن تبًا لتلك الظروف التي جعلت الديون تحيط بها من كل جانب والتي جعلتها لقمةً سائغةً في فم ذلك الساحر عندما عرض عليها شراء المخطوطة التي تخص جدها وخصوصًا مع ذلك المبلغ المغري الذي وضعه للشراء.

لم تمضِ لحظات حتى بدأت طقوس التعويذة، حيث أخرج السحرة من جعباتهم أغراض غريبة وضعوها على المنضدة، استطاعت من مكانها سلسبيل أن تتعرف على عظمة بشرية وعقرب حي وإناء به دماء وشعر ما وأنياب كائن مفترس، ووضعوا كل تلك الأشياء على المنضدة ووضعوا المخطوطة بينهم ثم بدأوا في تلاوة تلك اللغة الغريبة.

في البداية كانت الأمور هادئة حتى بدأت المنضدة نفسها في الاهتزاز بعنفٍ، فرفعت سلسبيل عينيها لتنظر إلى مصطفى فإذا بها تلمح عينيه اللذان تلونا بلون الدم فنظرت نحو بقية السحرة فوجدت أن أعينهم جميعًا تشعان ذلك البريق الأحمر المخيف وتحشرجت أصواتهم وكأنها حفيف الثعابين.

انكمشت سلسبيل بذلك الركن وبدأ الخوف يعتصرها وللحظة فكرت في الركض خارج المكان ولكن الخوف الذي تملكها جعلها تشعر أن قدميها

كقالبين من ثلج لا يقويان على الحركة، بينما ظل السحرة في طقوسهم الغريبة وظلت المنضدة تهتز بعنفٍ حتى قفزت شعلة النار من فوق الشمعة لتقع على المخطوطة الجلدية وتشعلها لتضيء الغرفة بوهج شديد ظل يزداد حتى أكلت النيران المخطوطة تمامًا فخبت وهجها وأغرقت الغرفة في الظلام.

تسمرت سلسبيل في ذلك الركن من الغرفة المظلمة وهي تتلفت حولها وهي تود لو أنها ترى حتى بصيص من الضوء تستطيع الركض ناحيته، والسكون يملأ المكان ومرت اللحظات ثقيلة عليها وفي لحظة استجمعت سلسبيل كل ما بقى من شجاعتها وهتفت.

- مصطفى..

ولم يأتِها الرد من فوره بل مرت ثوان كالدهر قبل أن يأت الرد والذي كان عبارة عن ضحكة.

ضحكة أنثوية دوت في أرجاء المكان

ضحكة بدت ظافرة

ثم اشتعلت الشمعة مرة أخرى

كانت الغرفة كما هي

كل كرسي وكل شخص وكل جماد كان في الغرفة ظل بموضعه

إلا المخطوطة احترقت تمامًا

وشيء آخر

أو بالأحرى شخص آخر أو شخصان على وجه الدقة

سيدتان تقفان خلف المنضدة وابتسماتان ظافرتان ترتسمان على وجهيهما، ملابس أولاهما من القطن الأبيض المزركش بالألوان مع عصابة صغيرة تربط شعرها، في حين استقر تاج طويل فوق رأسها وأسورة ذهبية كبيرة على معصمها على شكل عقرب، بينما كانت السيدة الأخرى رائعة الجمال وهي تقف شبه عارية إلا من قطع قماش صغيرة تغطي مفاتنها بينما وضعت تاجًا ذهبيًا فوق شعرها الأسود المهذب بعناية والذي اختلط بعينيها الكحيلتان ليبرزا جمالًا مذهبا للعقل:

- أخيرًا...

نطقتها السيدة العارية:

- تنتظرين هذه اللحظة منذ سنوات طويلة (عشتار).

أدارت السيدتان نظريهما في أعين الرجال الذين تغلفهما جماد الموتى وإن كانت أعينهم قد عادت الى أشكالها الطبيعية وهم ينظرون إلى السيدتين بتوجس:

- نحن من استدعاكما وجميعنا مستعد ليكون تابعًا مخلصًا لكما.

قالها كبير السحرة للسيدتان، فاقتربت منه ذات الرداء الأبيض وهي تقول:

- ستكونون كذلك أنتم وبقية البشر، ولكن العالم تغير كثيرًا منذ أن تركناه؛ ولهذا نود تعلّم كل ما تعرفوه.

ثم وضعت كفها على رأسه وللحظة أغلقت فيها عينيها ومالت برأسها إلى الخلف ثم عادت لتفتحهما والابتسامة تملأ وجهها:

- رائع! كل هذا التقدم، ولكن لم استدعيتمونا؟ أنتم لا تحتاجون وحوشًا، لقد أصبحتم وحوشًا!

- ما الذي رأيتيه (سيركت)؟

هكذا قالت السيدة الجميلة (عشتار)، فاقتربت منها (سيركت) لتضع كفها على رأسها، فإذا بالمشهد يتكرر مرة أخرى، وإذ بعشتار تطلق ضحكة مجلجلة أخرى:

- إنهم يتنقلون بين مشارق الأرض ومغاربها في يوم وليلة، كم هذا رائع!

- نعم نستطيع، ونستطيع تعليمكم كيف.

استدارت إليه (سيركت):

- تعليمنا؟! لقد تعلمنا ما تعلمتموه في آلاف السنين في لحظة واحدة بمجرد لمسة.

ثم ابتسمت وعينيها تتسعان:

- والآن نأتي لموضوع التابع.

هنا بدأت المنضدة في الاهتزاز بعنف مرة أخرى وإذا بالعقرب ينقسم إلى العشرات منه؛ ليهجم على الرجال الذي انطلقت من حناجرهم صرخات ألم واستغاثة، ما لبثت أن هدأت والرجال ينتصبون ولقد

عادت تملأ أعينهم لون الدم وهم يلتفون حول (سيركت) و(عشتار) في خضوع واضح.

- الآن أصبح لنا تبعاء يا عشتار.

هكذا قالت (سيركت)، بينما (عشتار) تحدق في الركن المظلم التي تجلس به سلسبيل قبل أن تهتف:

- من أنتِ؟

تحجرت الكلمات في حلق سلسبيل وهي تنظر إلى عيني عشتار الكحيلتين وهي تنتصب واقفة ببطء شديد والدماء تكاد تتجمد في عروقها.

ولكن (عشتار) لم تمهلها وهي تقول:

- لا بأس، مهما كنتِ ستموتين على أية حال.

قالتها ووجهت يدها نحو سلسبيل:

وفجأة تهشم الباب الخشبي للشقة أثر ركلة قوية اقتحمته لتدخل معها ضوء الشارع الخافت مع النسيم المتطاير.

كان المقتحم أسمر البشرة مهذب الشعر ويلبس حُلةٌ سوداء بقميص أبيض اللون تحت عباءة سوداء تحيط برقبته وتنسدل لتغطي ظهره كله.

في البداية لم تستطع سلسبيل تبين ملامحه نظرًا لضوء الشارع المنبعث من خلفه، إلا أنها لم تبالِ ووجدت فيه الخلاص من الموقف الذي وجدت

نفسها به ولكن (عشتار) لم تمهلها حتى لتفرح بمنقذها؛ إذ انطلقت من أناملها شعلة نار باتجاه سلسبيل.

ولوهلة ظنت سلسبيل أنها قضي عليها، بل إنها شعرت بوهج النيران تلتمس طريقها إلى جسدها في هذا الجو القارص، ولكن بحركة واحدة من يد المقتحم فوجئت سلسبيل بجدار جليدي يقف حائلًا بينها وبين شعلة النار.

وللحظة توقف المشهد والسيدتان تحدقان في الشاب وهما لا يصدقان ما فعله للتو، إلا أن (سيركت) قالت وهي تحاول جاهدة تفحص وجه الغريب:

- أنا أعرفك، ولكنني لا أتذكر من أين.

ولكن الشاب لم يحاول حتى الحديث معهما لقد ضم يديه إلى صدره ثم وجههما إلى (سيركت) و(عشتار) بحركة حادة لتنطلق مع يديه بضعة سكاكين حادة ظهرت من العدم باتجاههما، ولكن (عشتار) و(سيكرت) أشاحتا بيديهما لتتطاير السكاين لجانبي الغرفة وتصطدم بالحائط لتسقط على الأرض و(عشتار) تقول:

- لا تغرنك قوتك يا هذا، فأنت أمام الملكتان.

ثم رفعت يدها وأنزلتها سريعًا؛ لينطلق سوطًا من يدها ليحيط برقبة الشاب الذي شعر بالهواء يختنق برئتيه والدماء تكاد تنفجر من عينيه، ولكنه مرة أخرى رفع يده، فإذا بسيف ينطلق ليقطع ذلك السوط وتقع (عشتار) أرضًا ولكن (سيركت) أطلقت ذلك البريق الذي يشبه البرق

من يديها ومرة أخرى يمد الشاب ذو الحُلةُ والعباءة الأسودين يديه أمامه ثم يفرقهما عن بعضهما ليمتد جدارًا عازلًا بينه وبينهما مع أتباعهما من السحرة ثم نظر الشاب إلى سلسبيل وهو يقول:

- هيا فلن يصمد هذا الجدار كثيرًا.

انتزعت كلماته سلسبيل من حالة التيبس الذي أصابها، لتسبقه ناحية الباب بينما استدار هو ليلحق بها في نفس الوقت الذي انهار فيه الجدار خلفيهما، بينما وقفت (عشتار) على قدميها مرة أخرى لتطيح بيدها فإذا بسلسبيل والشاب يطيران في الهواء ليسقطا على الأرض من الدور الأول.

هتفت (سيركت) بأتباعها:

- هيا، وراءهما.

ثم نظرت إلى (عشتار) بجسدها شبه العري وهي تقول:

- وأنتِ، ضعي شيئًا عليك بحق الآلهة.

نزل السحرة إلى الشارع ملتمسين جسدا سلسبيل والشاب، ولكنهم لم يجدوا إلا الفراغ مكان هبوطهما فوقفوا يتجولون بين الشوارع الفارغة بنظرهم حتى لحق بهم كل من (عشتار) و(سيركت) فقالت الأولى:

- هو مجرد ساحر هاوٍ لن يستطيع فعل شيء.

فأجابت (سيركت):

- هو ليس ساحرًا هاويًا فأنا أعرفه من مكان ما، ولكنني لا أتذكر فقط من هو.

ثم أردفت:

- ولكنك محقة، لن يستطيع فعل شيئًا.

قالتها وأطلقت مرة أخرى ضحكتها المجنونة التي دوت بأرجاء المكان،

ضحكة سمعها الشاب وسلسبيل وهما يجريان بأحد الأزقة القريبة وسلسبيل تلهث في عنف وقلبها يكاد يتوقف حتى وقعت على الأرض فإذا بالشاب يقف بجانبها وهو يسألها:

- ما الذي حدث؟ ومن هاتان السيدتان؟

حاولت الفتاة أن تلتقط أنفاسها وهي ترد:

- بل من أنت؟ وكيف علمت مكاننا؟

تحرك ظل في نهاية الزقاق فالتفت إليه الشاب فإذا بقطة سوداء تجوب الشارع فأخرج الشاب كاميرا صغيرة من جيبه والتقط صورة للزقاق ثم التفت إلى سلسبيل ليقول لها:

- لقد أصبح المكان غير آمن لاستكمال هذا الحديث، ستأتين معي.

ثم جذبها من يدها وهي تسأل:

- آت معك إلى أين؟!

ألقى الشاب بصورة أمامه وهو يشد سلسبيل من يدها:

- ستأتين معي برحلة صغيرة.

ثم قفز الشاب ناحية الصورة وهو يجذب سلسبيل معه وهو يقول:

- إلى غرفتي بمصر.

وابتلعتهما الصورة

****

الساحر

_ ما زلت مستيقظًا؟

قالها الشاب ذو البدلة السوداء وهو يخرج من غرفته ويخلع عباءته ويمر مسرعًا خلف العجوز الذي جلس وحيدًا في الصالة الشبه مظلمة:

- نعم زياد، لا أستطيع النوم مع تلك الجلبة التي تحدثها.

قال زياد وهو يدخل إلى غرفة أخرى:

- ليس أنا يا معلم، إنه كتابك لقد أصابه الجنون اليوم.

ثم خرج الشاب مرة أخرى:

- أستاذ جاد هناك فتاة مغربية في غرفتي فاقدة الوعي، هلا تعتني بها؟

- فاقدة الوعي! ماذا فعلت بها؟

- لاشيء، فقط لم تحتمل القفزة، فهي أول مرة لها.

ثم دلف سريعًا إلى الغرفة وأغلق بابها خلفه.

كان السيد جاد أصلع الرأس متوسط الطول في العقد السابع من عمره يلبس ملابس بسيطة حين وقف متوجهًا بخطوات بطيئة نحو الغرفة التي خرج منها زياد ليجد سلسبيل أمامه ملقاة على الأرض وقد تعثرت بها قدماه فنزل بركبتيه بجانبها وأخذ يهزها ويحاول إنعاشها حتى بدأت تفيق من غيبوبتها رويدًا رويدًا وهي تتمتم في البداية بكلمات غير

مفهومة ولكن سرعان ما تنبهت سريعًا وهي تنتفض جالسة وهي تنظر إلى العجوز وتتفحص الغرفة سريعًا قبل أن يقول العجوز:

- اهدئي يا بنيتي فلن يؤذيكي أحد بهذا المنزل.

- أين أنا؟

- أنتِ ببيتي بمصر.

اتسعت عينا سلسبيل وقد بدأت تتذكر ما كان يحدث لها بمدينتها بمارشان بطنجة وهي تصرخ:

- رباه! لقد تذكرت الآن، كم ظللت فاقدة الوعي؟ وأين الشاب الذي اختطفني؟

- اختطفك؟! تقصدين زياد؟

- لا أعلم.

ثم فجأة قطعت سلسبيل حديثه وهي تحدق في عيني العجوز جاد الخاويتان ثم قالت:

- سيدي أنت ...

ثم لم تستطع إكمال حديثها فقال جاد وهو ينهض واقفًا:

- تعلمين أنه من الوقاحة التحديق بعيني رجل أعمى ومن الوقاحة أكثر سؤاله عن كونه ضرير.

نهضت سلسبيل بدورها وهي تقول:

- لم أقصد ذلك يا والدي.

- لا بأس يا بنيتي.

في نفس الوقت الذي اقتحم فيه زياد الغرفة:

- جيد إنك أفقتِ.

نظرت اليه سلسبيل في توتر وهو يسأل بجدية:

- والآن ما الذي حدث؟

- لقد أوشكت أن أسألك نفس السؤال، ما الذي حدث؟ وكيف جئت بي إلى مصر؟

اقترب منها زياد وهو يصيح بعنف:

- اسمعي جيدًا ما سأقوله، لقد رأيت اليوم اثنين لم أكن أتوقع أن أراهما في هذا العالم، وهذا شيء سيئ، ورأيتك في نفس المكان، فإما أنك معهما أو تحاربينهما، ولا أراكِ الثانية، فإما أن تخبريننني ما يحدث وإما سأضطر آسفًا لقتلك.

هنا تدخل العجوز:

- كفى يا زياد.

- معلمي إنها ...

ولكن جاد رفع يده مقاطعًا:

-قلت كفى.

ثم استدار بعينيه الخاويتين نحو سلسبيل وسألها:

- من أنتِ يا بنيتي؟

قالت سلسبيل وقد بدا التوتر على صوتها الخافت:

- أدعى سلسبيل إدريس حاجي يا والدي.

- حاجي؟! هل هو حاجي مصطفى؟

- نعم يا والدي.

التفت إليه زياد:

- أتعرفه؟

- إنه معلمي أنا.

- أتقصد أنه ...

ثم سكت فأكمل العجوز:

- نعم ساحرٌ بابلي.

ثم قال لسلسبيل:

- ما الذي حدث في ذلك المنزل؟

نظرت سلسبيل إلى زياد متخوفة فقال جاد:

- لا بأس يا بنيتي، لن يلحق أي أحد بكِ مكروه في هذا المنزل.

نظرت إليه سلسبيل متعجبة:

- كيف تستطيع رؤيتي؟

ابتسم جاد ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- المرء لا يحتاج دومًا إلى البصر ليرى، المهم ما الذي حدث؟

أطرقت سلسبيل بنظرها إلى الأرض وهي تقول:

- بصراحة لقد وجدت مخطوطة دفنها جدي تحت بلاط البيت، وللأسف أضطررت لبيعها لأنني أمر بضائقة مالية وعرض عليّ شخص يدعى مصطفى شراءها ولما انتهى هو والسحرة من تلك التعويذة ظهرت هاتان السيدتان.

هنا انفجر بها زياد صارخًا:

- اضطررت لبيعها؟ بعتِ تعويذة لفتح باب العالم السفلي؟

بدت علامات الاندهاش على وجه سلسبيل وهي تقول بصوت خافت:

- لا أفهم ما تقول، أي عالم سفلي؟! لقد وجدت بردية أثرية وأردت بيعها فعرضتها على شبكة المعلومات العنكبوتية ولكن سرعان ما اختفى الإعلان ووجدت هذا المدعو مصطفى يتصل بي.

سأل جاد مرة أخرى:

- من هاتان السيدتان يا زياد؟

قال زياد في حدة وهو يلتف خارجًا من الغرفة:

- اسألها فهي من فتحت لهما الباب أما أنا فسأحاول أن أتفاهم مع كتابك لعله يساعدني لاعادتهما من حيث ما أتوا.

ثم أغلق الباب خلفه وسلسبيل تحدق به:

- أنتظر جوابك يا بنيتي.

- لا أعلمهما يا سيدي صدقني، كل ما قلته صدق، لقد سمعتهما يناديان بعضهما البعض بأسماء غريبة أحدهما عشتار والأخرى تدعى سيكريت.

- تقصدين سيركت؟

- بالضبط، أتعرفهما؟

جلس جاد قبالها:

- نعم ولست وحدي الذي يعرفها. الملايين عبر العالم وعلى مر التاريخ يعرفونها.

- كيف هذا؟

- ألم تقرأي أسطورة إيزيس وأزوريس؟

ردت سلسبيل:

- أليست تلك القصة في الحضارة الفرعونية حيث قتل سيث إله الشر إزوريس واستطاعت إيزيس إيجاد جثته؟

هز جاد رأسه إيجابًا وأكمل قصتها:

- نعم، ولكن سيث استطاع أن يسرق جثته ويقطعها ويوزعها على أقطار مصر والشام ولكن إيزيس لم تيأس وجمعت جثته عبر الأقطار واستطاعت إحيائه مرة أخرى وأنجبا حورس الذي استطاع قتل سيث والعودة إلى العرش.

- نعم تذكرت تلك القصة، وما دخل سيركت هذه بتلك القصة.

- سيركت كانت إله السحر عند الفراعنة وهي التي استطاعت إعادة أزوريس من مملكة الموتى وعينته ملكًا عليها وهي التي اعتنت بحورس وكانت تدعى الإله العقرب، سيركت كانت أقوى ساحرة عرفتها مصر القديمة.

هزت سلسبيل رأسها:

- أنا لا أفهم، أتقول أن سيركت هي إله؟

- لا يوجد إلا إلهً واحدًا يا بنيتي فلا تكفري، سيركت وأمثالها من سكان العالم السفلي أو عالم الشياطين أو العفاريت أو أي شيء مما تحبون تسميته يملكون من القدرات التي كانت تجعل الفراعنة وغيرهم يصدقون أنهم آلهة ولكنهم ليسوا أكثر من مخلوقات كانت تستطيع أن تجوب الأرض قبل أن يتم سجنهم في العالم السفلي للآبد.

- ومن عشتار تلك؟

وما إن انتهت من سؤالها حتى اقتحم زياد الغرفة وهو يلبس وشاحه:

- ذلك الكتاب يأبى مساعدتي.

قال جاد:

- ربما تسأله الأسئلة الخاطئة.

نظر إليه زياد وهو يلبس عباءته:

- لا يا معلم سألته كيف أوقفهما وسألته كيف أعيد غلق تلك البوابة وسألته كيف أقتلهما وهو يسرد علي أساطير قديمة، قلت له أنني أعرف من هما ولا أحتاج تلك القصص وهو لا يعرض غيرها.

- وإلى أين أنت ذاهب الآن؟

- سأعود إلى طنجة ربما أستطيع ايقافهما.

- أنت لست ندًا لهما.

- أنا ساحر بابل.

ثم نظر إلى سلسبيل وهو يسحبها من يدها ويلقي صورة ذلك الشارع الضيق في طنجة أمامه ويقول لها:

- وأنتِ ستأتين معي.

- لا ليس مرة أخرى.

وهذه المرة شعرت سلسبيل بروحها وكأنها تُسحب، شعرت بحجمها يذوب في الصورة وكأن جزيئاتها تنعدم و لم يعد لها وجود، والغرفة تدور بها وتمتزج بالصور التي أمامها وتختلط خيوط الضوء وتختلط الأصوات حتى يطغى السكون مرة أخرى ويسود ظلام الطريق،

وإحساس بالغثيان يجتاح رأسها وهي ملقاة على أسفلت ذلك الطريق الضيق في حي مارشان بطنجة بينما تتساقط قطرات المطر عليها وسط بركة المياه الصغيرة تحت رأسها.

ظلت المباني والسحب تدور داخل رأس سلسبيل وهي تحاول جاهدة أن تنهض من بركة المياه حتى استطاعت بصعوبة أن تلتف مرتكزة على يديها وركبتيها ولم تكد تفعل هذا حتى أفرغت محتويات معدتها الصغيرة على الأرض ثم ترنحت واقفة لتجد زياد يقف أمامها:

- جيد، لقد بدأت تتعودين على القفزة لم تفقدي الوعي تلك المرة.

قالت سلسبيل بحدة:

- اسمع يا هذا، يجب أن تتوقف عن تلك الألاعيب التي تمارسها.

قاطعها زياد وهو يجذب يدها مرة أخرى ليخرجا من الشارع الضيق:

- لا يوجد وقت لهذه الترهات.

كان الشارع هادئ إلا من بعض الأشخاص الذين يجوبون الشوارع بهدوءٍ شديدٍ، إلا أن أعينهم كانت ملونة بلون الدم، خرج زياد وسلسبيل وهما يتفحصان الوجوه ويتجولان بين الناس الذين لم يبدِ عليهم أي تغير، وظلا يتعاملان فيما بينهم بطريقة طبيعية.

- لماذا تلونت أعينهم باللون الأحمر؟

قالتها سلسبيل بصوت خافت:

- لقد سيطرت عشتار وسيركت عليهم.

- ولكنهم لم يهاجموننا؟

جاءها الرد من خلفها:

- لقد ألقى رفيقك تعويذة الإخفاء فلا يستطيعون رؤيتكما.

التفتا سلسبيل وزياد، والأخير يتحفز لمقابلة صاحب الصوت الذي جلس هادئًا على جانب الطريق وإن بدا شحوب الموتى في وجهه:

- من أنت يا هذا؟ وكيف تستطيع رؤيتي؟

ابتسم الرجل الشاحب وهو يرد:

- اسمي منتصر، مصري مقيم برومانيا ويبدو أن الأحداث هنا جذبتني، أو ربما هي رائحة الدم.

- كيف تستطيع رؤيتنا؟

- لا تشغل بالك بي كثيرًا فتعويذاتك تؤثر على البشر.

- أنت من العالم السفلي إذًا؟

أطلق منتصر ضحكة مجلجلة:

- لا لست كذلك، قلت لك لا تشغل بالك بي؛ فأنا عابر سبيل على وشك الرحيل.

ثم نظر منتصر في وجوه الناس التي بدأت تزيد في كثافتهم حول ثلاثتهم وإن ظلوا لا يقتربون من زياد ولا سلسبيل:

- إن ساحرتاك سيطرتا على الحي كله ولن يمضي الكثير حتى يملكان طنجة وربما المغرب العربي كله وربما أكثر.

ثم مد يده سريعًا ليلتقط عقربًا من الأرض ويقربه من وجهه في تلذذ قبل أن يتركه يقف على يده:

- هذا المخلوق يتجول بين البشر ولدغة واحدة منه تجعل الإنسان تحت أمرهما، تابعًا مخلصًا لهما.

وظل العقرب يحاول أن يلدغ منتصر، وابتسامة الأخير ترتسم على وجهه واللدغات لا تؤثر به وبحركة سريعة التقط منتصر العقرب وابتلعه وشعرت سلسبيل بغثيان بينما انعقدت أسارير زياد وهو يسأل:

- ما أنت يا هذا؟

- قلت لك، لا تشغل بالك بي، وأعتقد أن الملكتان شعرتا بك وأبطلتا تعويذتك.

التفت زياد فإذا بسكان البلدة يتجهون نحوه ونحو سلسبيل وهم يحملون الهراوات والسكاكين، فالتفت زياد حيث يجلس منتصر فإذا به اختفى تمامًا.

وقف زياد للحظات مصدومًا ولكنه سرعان ما استجمع رباطة جأشه، فإذا به يجذب سلسبيل مجددًا في شارع جانبي، ولكن سرعان ما لحق به فوج المهاجمين ومن بعيد سمع زياد صوت طلقتين من الرصاص

ولكنه استدار لينحني بسلسبيل أرضًا؛ لتتلقى عباءته الرصاصتين وترتدان عنها في عنف.

انتصب زياد مع سلسبيل ولكن المهاجمين لم يمهلوهما وانقضت الهراواوات والأيدي والنصول الحادة عليهما.

وشعرت سلسبيل إنها كالفأر في المصيدة، كأنها نهايتها.

وتمنت لو أنها لم تجد تلك المخطوطة

وتمنت لو كانت في مكان آخر

بعيد عن طنجة كلها.

****

أساطير

انتفض جسد العجوز إثر صوت اصطدام عنيف بأثاث غرفة زياد وتحسس طريقه سريعًا نحو الغرفة فاستقبله صوت زياد المتقطع المنهك:

- أستاذ جاد، ساعدني.

كان زياد ملقى على الأرض وهو يمسك بيد سلسبيل التي كانت راقدة إلى جواره وملابسهما يكسوها البلل والإتساخ الشديدين، بينما تمزقت أجزاء من ملابسهما وملأ جسديهما الكدمات والسحجات الشديدة بينما كانت سلسبيل فاقدة الوعي تمامًا:

- ما الذي حدث؟

سأل جاد سريعًا، فرد زياد وهو ينهض بصعوبة:

- سيطرت عشتار وسيركت على الحي بأكمله وهاجمنا سكانه بكل الأسلحة المتاحة حتى تعويذتي للإخفاء أبطلتاها، وتعويذة الحماية لم تعمل جيدًا، كما لو أنهما يشعران بتعويذاتي ويبطلاها، وبصعوبة شديدة استطعت انتزاع سلسبيل من بين يد أهالى الحي والقفز بها إلى هنا بعد أن فقدت الوعي.

انحنى جاد بجانب سلسبيل وهو يقول:

- هناك شيء غير صائب.

- ماذا تقصد؟

- أستطيع الشعور به هناك شيء أصيبت به تلك الفتاة.

اتسعت عيني زياد وهو يقترب من سلسبيل ليفتشها ولكن جاد أشار عند ساقها اليسرى وهو يقول:

- هنا.

وبسرعة رفع زياد سروالها ليجد العقرب جاثيًا على ساقها وآثار اللدغات بادية على ساقها، فحرك زياد يده، وهمّ أن يطلق عليه تعويذة لتقتله ولكن إشارة من يد العجوز جاد جعلته يتوقف والعجوز يقول:

- أريده حيًا.

وبسرعة التقط زياد قنينة زجاجية من بين أغراضه التي تساقطت على أرض الغرفة إثر ارتطامه الأخير بها وقلبها ليحبس تحتها العقرب.

- ما حالها الآن زياد؟

- انها فاقدة الوعي معلمي ولكنني لم أشعر به وهو ....

قاطعه جاد:

- ليس هذا وقته، هل أصابتها التعويذة؟

انطلق زياد يفحص عينيها ثم قال:

- إن عينيها لم تتحول إلى اللون الأحمر تمامًا بعد، لقد بدأ لونها يتغير، ولكن لم تتحول بالكامل.

نهض العجوز وهو يقول:

- جيد، أريد الذهاب بها إلى الساحر (شيتارا) الإفريقي. واحضر معنا ذلك العقرب.

نهض زياد بدوره:

- سيدي، أنت لم تخرج من البيت منذ فترة ولم تمارس السحر كذلك.

بدا الغضب الشديد على ملامح العجوز وهو يصيح:

- لا تنسَ مع من تتكلم يا زياد.

خضع زياد بقوله للعجوز بصوت خافت:

- لم أقصد يا معلمي.

- إذًا نفذ ما طلبت منك بلا جدال.

- سأذهب إلى غرفتي لأحضر وسيلة نقلكما.

تحرك زياد بهدوء عبر الشقة ليدخل غرفة أخرى، كانت تلك الغرفة ذات طابع خاص يسودها الظلام وإن كانت ملامحها مضيئة بدون مصدر ضوء واضح كأنما تشع ضوءها بنفسها، وتوسط الغرفة عمود خشبي استقر فوقه كتاب قديم من قطع من الجلد مهترئة، بينما انتشرت رفوف بجميع جوانب الغرفة ووضع عليها ملفات ذات تسلسل أبجدي، أخذ زياد يقترب منها متفحصًا ببصره حتى اقترب من حرف التاء، فمرر أصابعه بين ملفاتها حتى التقط ملفًا من رف أكبر كتب عليه (تنزانيا).

- ها هو ذا.

ثم أخذ يقلب صفحات الملف المرقمة والتي تحمل كل منها بضعة صور حتى وصل إلى صورة معينة فالتقطها ثم وضع الملف في مكانه والتفت ليخرج من الغرفة ملقيًا نظرة على الكتاب المهترئ فوجد صفحاته مغلقة فقال:

- هل من نصيحة؟

ظل كل شيء في الغرفة كما هو لبضع لحظات فقال زياد:

- إذاً فأنت غاضب، لا بأس، ولكن ليكن في معلومك أننا تعرضنا للهجوم والمعلم سينطلق بنفسه.

قالها زياد وانطلق خارجًا من الغرفة متوجها صوب غرفته ليجد جاد واقفًا بجانب سلسبيل ولم يكد يشعر جاد بوجوده حتى هتف:

- هيا، الوقت ليس في صالحنا.

رمي زياد صورة كهف أمام جسد سلسبيل ثم أمسك بيد المعلم جاد ليضعها فوق كتفه ثم انحنى ليرفع سلسبيل وهو يقول:

- تمسك بي جيدًا يا معلم.

وقفزوا جميعا نحو الصورة.

كانت الصورة لكهف من الصخور تحيط به الأشجار الكثيفة وفي لحظة إنشق ظلام الليل عن المعلم جاد وبجواره زياد حاملًا سلسبيل، أما باب الكهف الذي لم تمضِ ثوان حتى ظهر عند بابه عجوز كثيف الشعر والذقن يلبس قطعة خفيفة من الثياب المهترئة:

- المعلم جاد الأسطوري وتلميذه الفذ عند باب كهفي!

ثم قفز العجوز في رشاقة لا تتناسب مع جسده نحوهما وهو يهتف:

- أشعرتما بهذا أيضًا؟ كل تلك الطاقة السلبية والسحر الأسود، كما لو أن سحر العالم كله ينبع من المغرب اليوم.

ثم سكت (شيتارا) للحظات وهو يتفحص ثلاثتهم ثم انعقدت أساريره وهو ينظر نحو سلسبيل:

- يا إلهي، لقد ذهبتما إلى هناك، الموضوع أكبر من أي ساحر. كيف ورطما نفسيكما بهذا؟

هنا قال جاد:

- شيتارا، هذه المسكينة تقع تحت تعويذة سيطرة قوية نريد مساعدتك.

نظر شيتارا نحو سلسبيل في تردد للحظات ثم قال:

- لا بأس، هيا إلى الداخل.

دخل جاد وشيتارا بجانبه وأتبعهما زياد حاملًا سلسبيل حتى وصلوا إلى منتصف الكهف، حيث وضع زياد سلسبيل على صخرة ضخمة عليها فرو كثيف تم تجفيفه بعناية:

- أريد أن أفهم، ما الذي حدث بالضبط؟

أطلق السؤال شيتار فبادر زياد بالرد عليه:

- هناك من فتح باب العالم السفلي في طنجة ومرت منه عشتار وسيركت.

فتمتم شيتارا:

- الساحرة العقرب.

فرد عليه جاد:

- بالضبط.

ثم رفع القنينة الزجاجية التي تحتوي العقرب:

- وهذه العقارب تجوب أحياء طنجة الآن لتخضع أهلها لسيطرة سيركت.

ساد الصمت على المكان للحظات فقطعه زياد متسائلًا:

- هل يمكنك أن تساعدها؟

إتسعت عينا شيتارا كأنما فوجئ لسؤال زياد:

- تحدثني أنا؟! بالطبع لا أستطيع.

ثم نظر نحو جاد مشيرًا إليه ومستطردًا:

- ولكنه يستطيع.

أصابت الدهشة الشديدة زياد وهو ينقل بصره نحو معلمه الذي بدا هادئا وهو يقول:

- ولكنني سأحتاج إلى مساعدتك شيتارا.

- لا أفهم شيئًا يا جاد، لماذا كبدت نفسك عناء القفزة في حين أنه كان

من الممكن أن تطلب من تلميذك المساعدة.

انعقد حاجبا زياد وهو ينظر نحو جاد:

- لأن تلميذي عنده مهمة أخرى.

ثم وجه وجهه نحو زياد وهو يقول معنفًا:

- لقد أصابك الغرور، تتخيل أنك أحسن ساحر بالعالم والوحيد القادر على فعل أي شيء، أنا ساحر بابل، أنا ساحر بابل، إنك تردد هذا في كل وقت، أنت لست أول ساحر يختاره الكتاب ولن تكون الأخير، تجاوز هذا.

- معلم، لقد....

- لقد تلقيت لتوك صفعة قوية من بضعة مدنيين كادوا أن يفتكوا بكما.

- سيدي إن الساحرتان سيطرتا عليهم ولقد كنت حريصًا على ....

- لا أريد سماع أعذار، تخلى عن غرورك واذهب إلى كتاب بابل واسمع منه.

- إنه يأبى أن يرد علي معلمي.

- لأنك رفضت سماعه في البداية.

ثم التفت جاد نحو أحد حوائط الكهف وهو يقول:

- جد طريقة للتعامل معه، إنه كتابك الآن، والآن اذهب وحاول غلق تلك البوابة وتعامل مع الساحرتين.

وقف زياد ينظر إلى ظهر معلمه للحظات، يكاد ألا يصدق القسوة التي عامله بها للتو، قسوة لم يعتد عليها ولم يرَها منه طوال سنوات تربيته وحياته معه.

كاد زياد أن يذهب ويجثو عند قدمي معلمه ويطلب منه ألا يغضب منه، يبلغه أنه لا يهمه من هذا العالم سوى رضاه، وأنه لا يربطه بهذا العالم سواه هو أبوه ومعلمه وأخوه وجاره وصديقه الوحيد، هو كل ما يملك من الدنيا لايتحرك إلا برأيه ولا ينفذ إلا خططه ولا يتحدث مع أحد سواه.

كل ذلك الكلام جال بخاطر زياد وهو ينظر نحو معلمه، حتى أن عينيه سطعت بهما بريق دمعتين تتواريان خلف ظلام الكهف:

- معلمي....

- قلت لك اذهب.

وهذه المرة استجاب زياد لأوامر جاد واستدار مغادرًا الكهف ليلقي بصورة غرفته عند باب الكهف ويقفز داخلها وتختفي الصورة معه.

- لقد كنت قاسيًا جدًا معه سيد جاد.

- لقد أصابه الغرور شيتارا.

- أشعر أن الموضوع أكبر من أنك تؤدبه سيد جاد.

التفت جاد نحوه:

- لقد آن الأوان أن يُفطَمُ شيتارا، إنه لا يتحرك إلا برأيي ومشورتي، يجب أن يبتعد عني قليلًا ويجد طريقه الخاص ليكون ساحر بابل، يجب أن يُعرف بالساحر زياد وليس تلميذ جاد الفذ.

ثم أشاح بوجهه متوجهًا نحو سلسبيل وهو يقول:

- والآن دعك من هذا، فأمامنا عمل كثير مع هذه السيدة.

في نفس الوقت الذي لمع فيه شعاع من البرق الفضي في غرفة زياد لينشق فراغ الغرفة عن دوامة بصرية ليظهر من خلالها زياد قبل أن يخطو فوق أرض الغرفة ببدلته المميزة وعباءته السوداء.

كانت خطوات زياد ثقيلة وهو يخرج من غرفته متوجهًا إلى الكتاب وقد ترقرقت دمعتان في عينيه؛ فهذه أول مرة يوبخه فيها معلمه بهذا الشكل منذ أن تربى على يديه صغيرًا، ولكن استوقفه التلفاز وهو يعرض أحد القنوات الاخبارية العربية والعنوان يتزيل الخبر بخطٍ كبيرٍ "الحشود المغربية تتجه نحو طنجة" في حين تتوسط صورة المذيع الشاشة.

تقدم زياد نحو التلفاز ليرفع الصوت قليلًا فإذا بصوت المذيع يقول:

"هذا وقد انقطعت جميع الأخبار من بعض أحياء طنجة منذ ساعات حتى مراسلنا لا نستطيع الوصول إليه وتحاول السلطات الاتصال برجال الشرطة بالمنطقة إلا أن جميع المحاولات الرسمية وغير الرسمية باءت بالفشل وسط قلق شعبي، هذا وقد أفاد شاهد عيان في مكالمة تليفونية مع صديق له خارج المنطقة المنكوبة أن هناك نوع من

العقارب يهاجم الأهالي إلا أن الأخبار تتوقف عند هذا الحد مع جهلنا التام بعدد الإصابات أو الوفيات بالمناطق المنكوبة".

مد زياد يده ليغلق التلفاز وقد بدت علامات الضيق الشديد على وجهه ثم تحرك بنفس الخطوات المتثاقلة نحو غرفة الكتاب، فإذا بالظلام يغلفها تمامًا ما عدا ضوءًا خفيفًا ينبعث من العامود الذي يحمل الكتاب وقد أُغلقت صفحاته.

أغلق زياد الباب ثم خلع عباءته وجلس مسندًا ظهره على الباب واضعًا وجهه بين ركبتيه واستمر هذا الوضع لمدة دقائق قبل أن يقطع زياد ذلك الصمت بصوتٍ خافت:

- المعلم يقول أن علينا أن نجد وسيلة للتفاهم.

ثم رفع رأسه ناظرًا إلى الكتاب:

- إنه يقول أنني أصبحت مغرورًا. هل هذا صحيح؟

كانت نظرات زياد نحو صفحات الكتاب توحي بأنه ينتظر ردًا ما، إلا السكون كان الجواب الوحيد الذي يتلقاه ولكن هذا لم يمنعه من المواصلة:

- إن الأمور تتفاقم وكنت أظن أنني أستطيع منعها لذلك ذهبت إلى هناك.

ثم نهض زياد ليرفع العباءة مرة أخرى خلف ظهره مرتديًا إياها:

- إن الموضوع لا يدور حولي ولا يهمني ما يظنه المعلم بي، أنا لم

أختَر ما أنا عليه، هناك عالم أحميه من عالم سفلي لا يرحم، أنت اخترتني ولا أعلم لماذا، ولا أظن اختيارك صحيحًا، ولكنني سأقاتل حتى آخر نفس حتى لو تخليتما أنت والمعلم عني سأذهب وحدي.

وقبل أن يكمل زياد حديثه، ظهر نورٌ فوسفوريٌ من بين صفحات الكتاب قبل أن يفتح على صفحة خالية وسرعان ما بدأت حروف تظهر على تلك الصفحة لتكون كلمتين محددتين بحروف كبيرة:

- لهذا اخترتك.

ثم أخذت صفحات الكتاب تنقلب بسرعة وزياد يقترب ببطء حتى توقفت عند صفحة مكتوب في وسطها:

- أسطورة أدونيس.

انعقدت أسارير زياد وهو يتمتم:

- أنا أعلم ذلك الاسم.

ظهرت بعد ذلك صفحة، أخذ زياد ينطق كلماتها في عجل:

- تقول الأسطورة حسب الحضارة الكنعانية عن شاعر يدعى بـ (انيازيس) في القرن الخامس القبل الميلاد أن (أدونيس) ولد لأم أشورية غضب عليها والدها فالتجأت إلى الآلهة التي حولتها لشجرة انشقت بعد ذلك عن أدونيس الطفل الذي أغرمت به (أفروديت) فأخذته ووضعته عند (بيرسيفون) مليكة العالم السفلي الذي أعجبت بجماله هي الأخرى ولم توافق على إرجاعه لأفروديت، فنشأ صراع بينهما فتدخل (زيوس)

الذي حكم أن يظل الطفل لدى (أفروديت) على سطح الأرض أربعة أشهر ولدى (بيرسيفون) في العالم السفلي أربعة أشهر وأربعة أشهر يختارها (أدونيس) بنفسه والذي فضل البقاء فوق الأرض فكان يقضي ثلثي العام بين البشر والثلث في العالم السفلي، وهناك شاعر آخر يدعى (أوفيد) قال أن (أدونيس) كان رائع الجمال ولد لملك من قبرص وأحبته (أفروديت) حتى مات في رحلة صيد...

ثم تلاشت الكلمات تمامًا وظل زياد يحدق في الكتاب، ينتظر المزيد وحاجبيه يكادان يختلطان:

- لا أفهم، ما المطلوب مني؟

هنا أضيئت أرفف الغرفة وبرز من فوق صفوفها ألبوم تقدم نحوه زياد في بطء، فإذا به تحت قبرص فالتقطه زياد فإذا بصفحاته تنقلب بسرعة حتى توقفت أمام صورة لحانة قديمة تقبع بين الصخور على جزيرة بحرية.

التقت زياد الصورة ثم التفت إلى الكتاب متسائلًا:

- أتريدني أن أذهب إلى هناك؟

إلا أنه فوجئ بالكتاب يغلق صفحاته ويخبت ضوئه فتمتم زياد:

- ها قد عاد إلى صمته المعهود.

ثم ألقى بالصورة على الأرض وقفز نحوها ليختفي داخلها وتختفي معه.

ليبدأ رحلة في قلب قبرص رحلة إلى المجهول.

أدونيــس

فتح باب الحانة ليدخل منه زياد وعيناه تجوبان المكان في هذا الوقت المتأخر من الليل، كان المكان عبارة عن حانة قديمة بداخلها مناضد وكراسي من الخشب تسطع بها أضواء خفيفة، بينما عكفت سيدتان أحدهما في مقتبل العمر وأخرى في العقد السادس منه، على تنضيف المكان، وما إن ظهر زياد حتى قالت السيدة شيء ما وهي تشيح بيدها، إلا أن نظرة التجهم التي علت وجه زياد جعلت الشابة تدرك أنه لم يفهم شيئًا، فاقتربت منه بهدوء وهي تقول:

- الإنجليزية؟

- نعم سيدتي أتحدث الإنجليزية.

قالها زياد وعيناه لا تتوقفان عن فحص المكان:

- كما ترى نحن نغلق الحانة الآن.

- أفهم هذا يا سيدتي ولكنني أبحث عن شخص ما.

- أي شخص؟!

ظل زياد لثوانٍ يجوب أنحاء الحانة بنظره ولكنه في النهاية ابتسم للشابة وهو يقول:

- لا بأس يا سيدتي إنه رفيقي في رحلة سياحية وظننت أنه أتى إلى هنا.

- من أين أنت؟

- من مصر.

ثم التفت زياد مغادرًا:

- آسف يا سيدتي لقد أضعت وقتيكما.

وقبل أن يخطو زياد خطوة واحدة، تعالى صوتٌ لشابٍ ظهر عند الباب الخلفي، كان الشاب رائع الجمال بحق بجسده المفتول ووجهه الأبيض وشعره الذهبي وعيناه الخضراوتان ولكن ما قاله جعل السيدتان تلتفتان إليه.

- ما هذه اللغة التي تتحدث بها؟

قالتها السيدة العجوز باليونانية فرد عليها الشاب:

- لا عليكِ يا سيدتي إنه يفهم ما أقول.

وبالفعل انعقد حاجبي زياد عن آخرهما، لقد فهم كل كلمة قالها بل أنه يكاد يقسم أنه يعرفه حق المعرفة ولكنه لا يدري من أين له بتلك المعرفة؟

اقترب منه الشاب وهو يردد نفس الكلمات:

- لقد عاد الابن الضال.

لم ينبس زياد ببنت شفة وهو يحدق بالشاب الذي التفت للسيدة يستأذنها باليونانية للذهاب مع صديقه من مصر الذي يعرفه منذ سنوات ثم أخذ بيد زياد ليخرجان من الباب فقال زياد فور خروجهما:

- أتعمل هنا؟

- بالطبع فيجب أن أجد طريقة لأكسب قوت يومي.

- وما اللغة التي تحدثت بها للتو؟

- إنها لغة العالم السفلي.

- وكيف فهمتها أنا؟

جاء الوقت على الشاب لتنعقد أساريره وهو ينظر إلى زياد متشككًا:

- لأنك زياد.

- ومن أنت؟

اتسعت عينا الشاب من فرط الدهشة وهو يحدق في وجه زياد:

- أنت لا تتذكر شيئًا، أليس كذلك؟

فوجئ الشاب بزياد ينتزعه من مكانه ليلصقه بحائط الحانة وهو يظهر سكينًا حادًا من يده ليضعه على رقبة الشاب وهو يقول:

- اسمع يا هذا، لقد كانت ليلة سيئة حتى هذه اللحظة أجب سؤالي سريعًا، من أنت؟

هنا ابتسم الشاب وهو ينظر إلى السكين في يد زياد، فإذا به يتحول لمطاطٍ، ثم في لحظة اختفى الشاب من بين يدي زياد ليظهر وراءه وهو يقول:

- لا تتبجح بسحرك قبل أن تدرك قدرات خصومك كنت أظن جاد علمك هذا.

ثم ابتسم الشاب بعد أن رأى الدهشة في عيني زياد ثم قال:

- أنا أدونيس.

ازدادت عينا زياد اتساعًا وهو يردد في دهشة:

- أدونيس؟

- كنت أظنك تعلم.

- أدونيس من العالم السفلي؟

- نعم زياد.

- أهناك أحدًا من العالم السفلي يعيش معنا؟

- أنا فقط، منذ أن أخذت الإذن من زوس قبل أن يقتل ثلثا العام على الأرض وثلثه تحت الأرض.

- لا أفهم كيف تعيشون كل ذلك الوقت؟

- نحن من المنظرين ولكننا لسنا خالدين، يمكن أن نقتل بعضنا البعض أو أن يقتلنا أحدكم وهو شيء نادر، ولكننا لا نمرض ولا نموت من تلقاء أنفسنا هذا هو عالمنا العالم السفلي.

- كيف أعلم لغتكم يا هذا؟

هنا ابتسم أدونيس:

- وكيف لا تعلمها زياد؟

ثم نظر إلى زياد متسائلًا:

- ما الذي تتذكره من طفولتك زياد؟

ضاقت عينا زياد وهو يقول:

- ليس الكثير، بضع مقتطفات متقطعة من ذكريات قديمة.

ابتسم أدونيس وهو يهز رأسه كأنما فهم الأمر:

- إذن فقد فعلها بك جاد.

- ما الذي تقصده؟

- لقد محا ذاكرتك وزرع مكانها بضع ذكريات، هو يستطيع هذا.

انقبضت أسارير زياد وهو يقول في غضب:

- أنت تهذي يا هذا.

أشار إليه أدونيس بيديه كي يهدأ وهو يقول:

- لا بأس زياد، أنا واثق من أن جاد لديه سبب وجيه لهذا.

استمر غضب زياد وهو يصيح:

- أي سبب يجعله يفعل ما تقول أنه فعله؟ أي سبب كي يمحو من أنا؟

ثم أشاح بوجهه بعيدًا وتركه أدونيس يهدأ قليلا ومرت اللحظات وزياد ينظر إلى الصخور حول الحانة ثم تقدم نحو البحر ليشعر بهوائه العليل يضرب وجهه.

لقد أصبح الأمر منطقيًا الآن،

هو بالفعل يشعر منذ سنوات بأنه لا يتذكر الكثير من طفولته

لا يتذكر الكثير من مدرسته أو أصدقائه

كلام أدونيس منطقي بالفعل.

ومضت دقائق والصمت يسود بين زياد وأدونيس حتى تمالك زياد نفسه فسأله أدونيس بهدوءٍ:

- إذا كنت لا تعلم كل هذا، ما الذي أتى بك؟

أخذ زياد بضع لحظات قبل أن يرد:

- أحدهم فتح باب العالم السفلي ومرت منه عشتار وسيركت.

اتسعت عينا أدونيس عن آخرهما قبل أن يهتف:

- ماذا؟!

ثم استدار نحو الجهة الأخرى من الجرف وهو يسير نحوها مبتعدًا عن زياد وهو يصيح:

- كل هذا وتضيع وقتي بكلامك هذا.

استدار زياد نحوه وهو يصيح:

- انتظر يا هذا، إلى أين تذهب؟

- ماذا تظن زياد، سأذهب إلى العالم السفلي.

- ما زالت لدي الكثير من الأسئلة أدونيس.

- لا يوجد وقت لهذا، إذا أردت أن تتبعني فهو شأنك.

مرت لحظات من التردد وزياد ينظر نحو أدونيس وهو يقترب من الجرف حتى اتخذ قراره وهو يعدو نحو أدونيس وهو يتمتم:

- تبًا! أعلم أنني سوف أندم على هذا.

في نفس اللحظة التي وصل فيها أدونيس إلى حافة الجرف وبدون أي تردد ألقى بجسده المفتول نحو مياه البحر، وزياد يعدو كالبرق خلفه ثم يقفز عبر الحافة ليشعر بهواء البحر المنعش يضرب وجهه وهو يسابق قطرات المطر ببدلته وعباءته المميزتين وهو يجاهد الظلام ليظل أدونيس في مجال رؤيته حتى ارتطم جسديهما بماء البحر البارد، إلا أن أدونيس لم يتوقف لحظة، لقد ترك جسده يغوص في المياه الباردة ثم أخذ يضرب مياه البحر بقدمين كالفولاذ ليهبط في المياه كالطوربيد في حين ظل زياد يطارده بإرادة كالحديد، إلا أن رؤية أدونيس أصبحت مستحيلة وهو يتقدم في المياه، وبحركة من يده ظهرت بلورة ما فإذا بها تشع ضوءًا قرمزيًا داخل مياه المتوسط، وزياد مستمر في مطاردة أدونيس وهو يشعر بصدره يضيق ورأسه تكاد ينفجر الدماء منها مع ضغط المياه ولكنه لم يفكر لحظة في التراجع.

لقد كان ما بداخله أكبر من حياته نفسها، كان بداخله هم واحد وهو ايقاف الشيطانتان، وتساؤلات عن نفسه تكاد تشق رأسه لتصرخ في ظلمات البحر وهو ما جعل أقدامه تضرب المياه كأعظم السباحين وهو يلاحق

أدونيس، حتى وصل الأخير نحو صخرة في قاع البحر فوقف أمامها حتى وصل إلى تجويف بها، فمد قبضته بداخلها وزياد يقف بجانبه، فإذا بأدونيس يضع كفه على كتف زياد فإذا بفقاعة كبيرة تخرج من الصخرة وتبتلعهما.

ولم يستطع زياد كتم أنفاسه أكثر من ذلك ليأخذ شهيقًا طويلًا متوقعًا أن يبتلع ماء البحر كله في صدره، ولكن كم كانت دهشته وهو يشعر بالهواء الساخن يجد طريقه نحو رئتيه وهو يجثو على ركبتيه على أرض صخرية داخل تجويف صخري كبير يحتوي على أنهار من النيران هي كل مصدر الضوء، في حين وقف بجانبه أدونيس بعضلاته المفتولة وهيئته الاسطورية وشعره الذهبي المبتل وهو يلاحق لالتقاط أنفاسه هو الآخر.

وفجأة ظهر عشرات المحاربين من بين الصخور ليحيطوا بزياد وأدونيس

وفتحت أبواب الجحيم

على مصراعيها.

****

العالم السفلي

استيقظت سلسبيل لتجد نفسها مكبلة الجسد نحو سرير بدائي الصنع في الكهف الحجري بتنزانيا.

كان الدوار يكتنف رأسها والأشكال والصور تتبدل في مخيلتها حتى ثبتت الصورة على جاد وشيتارا يجثوان على الأرض بجانبها، وما إن وضحت لها الرؤية حتى حاولت النهوض، حتى منعتها الحبال البدائية التي تربطها بمرقدها فهتفت:

- أستاذ جاد،أين أنا؟! ولماذا أنا مكبلة إلى فراشي؟

ابتسم العجوز وهو يرد عليها

- حمدًا لله على سلامتك سلسبيل، لقد أرهقتينا الليلة حتى نتمكن من استعادتك، ولكننا نعتذر لك عن هذا الموقف.

ثم قال لشيتارا:

- فك وثاقها شيتارا لقد عادت إلينا.

اقترب شيتارا نحوها في حذر وخوف ثم اقترب منها وهو يفحص عينيها فصرخت:

- ما الذي تفعله؟

فهتف به جاد:

- قلت لك فك وثاقها شيتارا لقد عادت إلينا، عذرا سلسبيل إنه يتأكد فقط

من انتهاء التعويذة فلقد قمتي بمهاجمته منذ قليل.

شرع شيتارا في حل وثاق سلسبيل في حين بدت الدهشة على ملامح الأخيرة وهي تحدق في أرجاء الكهف وفي وجه شيتارا نفسه:

- أنا لا أتذكر شيئًا أستاذ جاد.

ثم مسحت الكهف بعينيها وهي تقول:

- أنا حتى لا أعلم أين أنا، آخر ما أتذكره وجودي في ذلك الشارع مع تلميذك والأهالي تنهال علينا بكل أنواع الأسلحة.

انتهى في ذلك الوقت شيتارا من فك جسدها المربوط ثم تناول القنينة التي بها العقرب والذي لم يبدو عليه أي أثر للحياة ثم قال:

- لقد لدغتك إحدى تلك الكائنات، ولكن جاد استطاع إبطال تلك التعويذة بعد استخلاص مصل من سم ذلك العقرب.

- أين أنا؟

- أنتِ في كهفي المتواضع في تنزانيا.

اتسعت عينا سلسبيل في دهشة ولكن سرعان ما تبدلت تلك النظرة ولسان حالها يقول لنفسها "لقد وجدت نفسك المرة الأولى التي فقدتِ فيها الوعي بمصر فما المانع أن تستيقظي المرة الثانية بتنزانيا" إلا أنها التفتت نحو شيتارا متسائلة:

- ولكنك تتحدث العربية؟

هنا قال جاد:

- لقد درس شيتارا بالأزهر لذلك هو يعلم العربية.

ابتسمت سلسبيل ابتسامة منهكة وهي تنظر نحو شيتارا:

- شيتارا؟ الأزهر؟

ابتسم شيتارا بدوره محييا إياها:

- نعم سيدتي، شيتارا رهن تصرفك.

جابت عيني سلسبيل أرجاء الكهف ثم عادت ببصرها نحو جاد:

- أين زياد؟

- إنه برحلة طويلة يا بنيتي، أتمنى أن يجد نفسه بنهايتها بدون أن يهلك.

قامت سلسبيل من مرقدها بوسط الكهف واتجهت نحو الخارج وهي تشعر بالهواء الساخن نسبيًا في حين انتشرت الأشجار حول الكهف الجبلي في كل جانب ربما في مشهد جمالي تمنت لو أنها رأته بأي ليلة أخرى.

تبعها جاد بهدوء حتى اقترب منها وقال هامسًا:

- ما بكِ يا بنيتي؟

انهمرت دمعتين تنافسان حرارة الجو على وجنتيها وهي تجيب:

- أنا السبب أيها المعلم جاد، أنا من باع تلك التعويذة، أنا من تسبب بخروج هاتين السيدتين وسيطرتهما على مدينة بأكملها في أقل من ليلة.

ثم انهارت على ركبتيها وهي تضع وجهها بين كفيها فاقترب منها جاد حتى وضع يده فوق كتفها:

- اشفقي على نفسك يا بنيتي، فأنتِ لم تكُني تعلمين.

كان صوت نحيب سلسبيل هو الوحيد الذي يجوب بين أشجار تلك الغابة الموحشة حتى تمالكت نفسها وقالت:

- لقد كنت أشعر بأن تلك التعويذة بها شيء خاطيء ولكنني أقنعت نفسي بالعكس لشدة حاجتي للمال.

وقف جاد بجانبها حتى هدأت تمامًا ونهضت من مكانها:

- ألا تعلم أين زياد الآن أيها المعلم؟

هز جاد رأسه نفيًا:

- أنا لا أشعر به، لأول مرة منذ أن التقيته أفارقه وأنا لا أشعر بوجوده.

انعقد حاجبي سلسبيل وهي تسأل:

- التقيته؟ ألم تربه صغيرًا؟!

ابتسم جاد كأنما يستعيد ذكريات منذ سنوات مرت في عقله:

- لا سلسبيل، لقد تركه لي شخص يشبه أبطال الأساطير الإغريقية بملامحه الوسيمة وجسده المفتول وهو يقول أنه يعلم من أنا ثم اختفى من أمامي في لحظات وكان عمر زياد وقتها عشرة أعوام.

ثم جلس جاد على أرض الغابة وهو يستطرد:

- في البداية حاولت التخلص منه ولكن شعورًا غريبًا سيطر عليّ تجاه ذلك الصبي، شعور برابط بيني وبينه كما لو أنه طفلي، كنت أشعر بغضبه وحزنه وفرحه وحتى جوعه وعطشه، في البداية كان زياد صامتًا وظل كذلك لمدة سنة ولكنه بعد ذلك أخذ يحكي لي قصصًا عن الشياطين وعن عالم الجحيم.

اتسعت عينا سلسبيل وهي تصيح:

- ماذا؟

ابتسم جاد وهو يسألها:

- كيف واجه تلك الساحرتين؟

- لقد أطلق عليهم أسلحة من الهواء وصنع حائطًا أمامنا.

- وكيف جاء بك إلى مصر؟

- لقد قفز نحو صورة ما.

ازدادت ابتسامة جاد وهو يسألها مجددًا:

- وكم ساحرًا رأيتِيه يستطيع فعل ذلك؟

اتسعت عينا سلسبيل عن آخرهما وهي تقول:

- رباه، أتقصد أنه...

- لا شك لديّ في كونه بشري، ولكنني لم أعلمه أيَّة من تلك الأشياء، لقد تعلمها في العالم السفلي.

جلست سلسبيل تفكر للحظات قبل أن تسأل مرة أخرى:

- لقد سمعته يقول أنه ساحر بابل ويتحدث عن كتاب ما.

ابتسم جاد مجددًا:

- إنه كتاب سحر بابل ولقد كان ملكي ومن قبلي كان لجدك وفي الحقيقة الكتاب هو الذي يختار مليكه وليس العكس وهو على مر العصور يختار من السحرة الأمهر والأقوى والأكثر إخلاصًا ليعلمه أصول السحر.

- ولماذا سمي بكتاب بابل؟

- هذا الكتاب وجد في بابل في العصور القديمة حيث انتشر السحر بتلك المدينة، ويقال أن أمهر السحرة من وضع به تلك التعويذات لمحاربة قوى الشر والشياطين، ويقال أيضًا أنه نزل مع ملكين ببابل، ويقال أنه كتب بعد نزول الملكين، ولكن لا شيء مؤكد إلا الكتاب نفسه ولكن مصدره يبقى لغزًا.

ثم سكت جاد تمامًا ثم قال بصوت يغلبه الانكسار:

- المهم أنني لا أستطيع الشعور بزياد والأسوء من ذلك أنني مجبر بالبقاء بهذا المكان حتى يعود ويأخذنا.

قالها وابتلع ريقه ليشعر معه بغصة ومرارة شديدتين يخترقان حلقه ليسقطا بصدره، لقد كان في يوم هو الأقوى والأمهر، ولكنه الآن عاجز حتى عن مساعدة نفسه عاجز عن اللحاق بزياد ولده الذي لم ينجبه

زياد الذي كان في تلك اللحظة بالذات يحتاج إليه أشد الاحتياج وهو يجثو على تلك الأرض الصخرية بين أنهار النار وسط ذلك التجويف الصخري الكبير وبجانبه يقف أدونيس وقد أحاط بهم عشرات المحاربين من العالم السفلي، وبحركة عفوية تحركت يد زياد من الوضع جاثيًا لكي يصنع موجة هوائية تدفع أقرب مهاجميه مستعدًا لمواجهة الآخرين، وكم كانت دهشته وهو يرى نتيجة حركة يده.

لا شيء.. لم يحدث أي شيء على الاطلاق، كما لو أن يديه تعطلت

ورغم دهشته الشديدة اعتدل زياد ليضع كل ما تعلمه من سحر الشياطين في كفيه ويحركهما مرة أخرى.

ولاشيء أيضًا.. انعقدت أسارير زياد بينما انطلقت ضحكة ساخرة من شفتي أدونيس وهو يرى محاولات رفيقه

- لا تتعب نفسك زياد، إنه أحد قوانين العالم السفلي، لن نسمح للشياطين باستخدام قدراتها هنا. سنقتل بعضنا البعض، قدراتنا لا تعمل في هذا العالم.

هنا اقترب أحد المحاربين من أدونيس وهو يقول:

- ممنوع أي زائر هذه الأيام أدونيس.

- هذا ليس زائرًا، إنه زياد.

نظر المحارب مطولًا نحو زياد وابتسامة خفيفة ترتسم على وجهه ثم قال:

- لقد كبر حجمًا وسنًا.

ثم انقبضت أساريره مجددًا:

- ولكن هذا ليس معناه أنه مسموحٌ له بالعبور، لقد كانت الأمور هنا جنونية في الأيام السابقة، يجب أن يقابلها.

ابتسم أدونيس مجددًا:

- ما جئت إلا لمقابلتها.

اصطحب المحاربين المدججين بأسلحة عبارة عن سيوف وحراب، أدونيس وزياد عبر ممر صخري كبير يؤدي إلى بوابة ضخمة لقصر هائل، يقف أمامها عدد آخر من المحاربين الذين تهللت أساريرهم لرؤية أدونيس، إلا أن تلك السعادة ما لبثت أن تحولت بمجرد رؤية بشريًا معه.

استأذن كبير المحاربين أحد الحراس للمرور عبر البوابة فدخل هذا الحارس عبر البوابة وغاب ثوانٍ معدودة ثم عاد ليسمح لهم بالمرور وما إن مر الجميع حتى وجدوا أنفسهم في قاعة كبيرة توجد بها تماثيل ذهبية منتشرة في أرجاء المكان بينما اشتعلت مشاعل ذهبية على حيطان القصر، ووقفت محاربة بكامل لباسها الحربي ودرعها الذهبي والسيف الضخم المتدلي من خصرها وهي تقف بجسدها الممشوق وقوامها الرياضي وهي تنظر بحزم نحو البوابة التي مر منها أدونيس وتصيح به:

- ما الذي جاء بك في ذلك الوقت أدونيس؟ كأن الموقف لا ينقص سواك أنت وذلك البشري.

- ما الذي يحدث إيريشكيغال؟ولمّ كل هؤلاء المحاربين؟

ظلت نظرة الحزم على وجه إيريشكيغال وهي ترمق زياد بنظرات حادة:

- لا دخل لك بما يحدث أدونيس، لقد اخترت عالم البشر منذ الأزل.

- ألا يتعلق ما يحدث هنا بعالم البشر؟

- لقد نسيت أدونيس أن من يمنع خروج مسوخ العالم السفلي إلى عالم البشر هم من العالم السفلي.

قال زياد مقاطعًا:

- لقد فُتحت البوابة وخرج اثنين منكما يعيثان في الأرض فسادًا.

بدت إيريشكيغال غاضبةً لتدخل زياد في الحديث:

- لم تُفتح البوابة من جهتنا، لقد فتحت من الجهة الأخرى واضطررت للدخول بمعركة لغلقها وما زالت الحرب قائمة، ربما لو قام حارس بابل بدوره لما حدث كل ذلك.

ابتسم أدونيس وهو يسمع كلام إيريشكيغال حارسة بوابة العالم السفلي وكبيرة محاربيه ثم قال:

- أنتِ تتحدثين إليه مباشرةً إيريشكيغال، إنه زياد وهو ساحر بابل الآن.

انعقد حاجبي إيريشكيغال وهي تنظر نحو زياد:

- زياد؟! أليس هو ....

قاطعها أدونيس مبتسمًا:

- نعم هو بنفسه.

إلا أن صوتًا انطلق بقلب قاعة القصر:

- إذًا فلقد عدت به مجددًا.

التفت الجميع نحو مصدر الصوت فإذا بملكة رائعة الجمال وهي ترتدي ثوبًا أبيضًا وتضع تاجًا ذهبيًا وتقف بنهاية القاعة أمام باب خلفي صغير.

- بيرسيفون، مليكة العالم السفلي، ما زلتِ رائعة الجمال.

قالها أدونيس ونظرة الإعجاب تعلو وجهه بينما أطلقت بيرسيفون ضحكة رائعة هزت جدران الكهف:

- وأنت ما زلت تأخذ الألباب أدونيس، كيوم قابلتك أول مرة وأنت طفل صغير.

- حينها تعلقت بذلك المخلوق الصغير ورفضتي إرجاعه لأفروديت لولا تدخل زوس بنفسه.

ومرة أخرى أطلقت بيرسيفون ضحكتها الرائعة:

- أنت تذكرني بماضٍ سحيق أدونيس.

هنا تدخل زياد في الحديث متسائلاً

- ما الذي تقصدينه بعدت به مجددًا؟! هل كنت هنا من قبل؟؟

لم تجب بيرسيفون السؤال، بل نظرت إلى أدونيس متسائلة فابتسم الأخير وهو يقول لها:

- يبدو أن جاد محى له ذاكرته فهو لا يتذكر شيئًا.

هنا ابتسمت بيرسيفون وهي تقول لزياد:

- نعم زياد، لقد عشت بيننا فترة وتعلمت منا حيل كثيرة وشهد كهف السحر المسموح باستخدام السحر فيه دروسًا لك.

ساد الصمت المكان لفترة حتى قطعتها إيريشكيغال:

- ولكنني لم أوافق أن تستمر أكثر من هذا، البشريين لا يجب أن يكونوا بيننا فسمحت لأدونيس بعودتك لبني البشر.

هنا اقتحم كبير حراس البوابة المكان وهو يلهث ويقول:

مليكتي، التمرد بقيادة سيث يحاول اقتحام البوابة.

وكان هذا إيذانًا ببداية المعركة.

تمرد الجحيم

جلست سيركت هادئة على مكتب محافظ مدينة طنجة وعيناها تتابعان بهدوء عشتار التي أخذت تجوب المكان بعصبية في حين ارتسمت ابتسامة على شفتي الأولى وهي تقول:

- ما بكِ عشتار؟

التفتت عشتار نحوها في عصبية وهي تصيح:

- لا أعلم لمّ أنتِ هادئة هكذا سيركت؟!

ازدادت ابتسامة سيركت وهي تعتدل على كرسي مكتبها:

- ولماذا لا أكون هادئة عشتار وخطتنا تسير على مايرام، لقد صبرنا آلاف الأعوام حتى نجح مختلٍ ما في فتح بوابة سرية كنت قد وضعت بردية سرية لفتحها منذ آلاف السنوات، ووضعت خيوطًا تؤدي لتلك البردية، وما إن فتحت البوابة حتى عبرنا منها وسيطرنا على مدينة بأكملها في ليلةٍ واحدة.

هزت عشتار رأسها موافقة وهي تقول:

- نعم، ولكن خطتنا لم تنجح كلها لقد نجحت إيريشكيغال في الوصول للبوابة قبل أن يستطيع باقي جيشنا من العبور.

- لا تقلقي نفسك بما يحدث في العالم السفلي، أنا واثقة من أن سيث سيستطيع تدبر أموره، ثم أننا نمهد الوضع جيدًا هنا.

ساد الصمت أرجاء المكتب لبضع دقائق قبل أن تقطعه سيركت متسائلة:

- صحيح عشتار، ألم يبدو لكِ هذا الساحر مألوفًا؟

جاء الوقت على عشتار لتبتسم:

- ألم تتعرفي عليه سيركت؟

انقبضت أسارير سيركت:

- أنا واثقةٌ أنني أعرفه من مكانٍ ما.

ازدادت ابتسامة عشتار:

- إنه الطفل الذي جاء به أدونيس إلى عالمنا.

اتسعت عينا سيركت عن آخرهما وقد بدأت تتذكره:

- إنه زياد، لقد تذكرته، لقد علّمته بنفسي بعض الحيل في كهف السحر.

ضحكت عشتار ضحكة قصيرة:

- أنا نفسي لم أتذكره بالبداية ولكن عندما جلست وفكرت بأسلوبه قلت أنه لا بد أن يكون شيطانٍ ما أو أن معلمه أحد سكان العالم السفلي، هنا فقط تذكرته.

هنا اقتحم المكتب رجلٌ بدينٌ ذو شارب ضخم وبدلة أنيقة وهو يلهث وعيناه قد تلونتا بلون الدم، فاستدارت إليه سيركت وعشتار في حين رفعت الأولى يدها ليتسمر جسد الضخم في مكانه قبل أن ترفع سيركت

يدها لأعلى فيرتفع جسد البدين في الهواء في حين قالت عشتار بدلال لايضاهيه روعة إلا جمالها الطاغي:

- هل هذه هي الطريقة التي تدخل بها على سيدتين أيها المحافظ، أين قواعد الأدب التي تعلمتها؟

قال المحافظ المعلق في الهواء:

- سيدتي، أنا لم أقصد التطفل أردت إبلاغك بأن قوات الجيش تقترب منا، غير أن الأسطول الأسباني والأسطول الفرنسي والأسطول الإنجليزي قد حركوا قطعًا بحريةً باتجاهنا مدعومين من الناتو طبعًا.

أطلقت عشتار ضحكة خلّابة مرة أخرى في حين اطلقت سيركت سراح المحافظ ليسقط جسده الضخم على الأرض، ورغم ذلك بدا غير مباليًا على الاطلاق وهو ينهض سريعًا في حين قالت عشتار:

- أجمل شيء في عصركم أننا نستطيع معرفة ما يخطط به أعداءنا في حين إننا كالكتاب المطوي بالنسبة لهم.

ثم نظرت إلى المحافظ:

- لا تشغل بالك بما يحدث حولنا ولكن اجعلنا على اطلاع دائم بما يستجد من معلومات.

انحنى المحافظ وهوينصرف رافعًا يديه:

- تحت أمرك يا سيدتي.

التفتت عشتار نحو سيركت التي جلست مقتضبة الجبين في حين غطت ملامح وجه عشتار الفاتن ابتسامة ساحرة كعادتها:

- ماذا بكِ سيركت؟

- لا أعلم كيف لا تبالين وكل العالم يتحرك نحونا.

أطلقت عشتار ضحكة ساخرة:

- نحن أقوى من أي فرد منهم.

قامت سيركت من جلستها وهي تصيح:

- ربما نحن أقوى من البشر ولكننا لسنا أقوى من أسلحتهم فلا أنا ولا أنتِ نستطيع تدمير صاروخًا لهم ولا وقف طائرة، ليس بمفردنا على أية حال.

- ولكنهم لن يضربوا مدينة بكاملها سيركت بأطفالها ونساءها وهم يجهلون ما أصابها.

- ربما لن يبدأوا بالهجوم ولكنها مسألة وقت قبل أن يعلَموا مصدر التهديد.

- حتى لو علموا، لن يبيدوا مدينة كاملة ولن يستطيعوا القبض علينا.

- ولكنهم يستطيعون تدمير مبنى كامل نكون نحن به.

اختفت الابتسامة عن وجه عشتار وهي تقول:

- لماذا تصرين على إقلاقي سيركت؟!

جاء الدور على سيركت لتبتسم:

- بالعكس عشتار، أنا سعيدة بما وصلنا له ولكن لا أريد الوقوف عند هذا الحد يجب أن نجد الكتاب ونجد طريقة لعبور سيث مع باقي الجيش، فوجودنا وحدنا هنا حتى لو ملكنا المغرب كله لن يكون آمنا، يجب إحضار أكبر قدر من عفاريت العالم السفلي.

سادت دقيقة من الصمت وكلا من عشتار وسيركت شاردتا الذهن حتى لمعت عينا عشتار فجأة وهي تصيح:

- لما لا نبدأ من مكان البوابة؟

- ماذا تقصدين عشتار؟

- أقصد أن من فتح لنا البوابة كان يملك البردية وربما يملك الكتاب نفسه.

ابتسمت سيركت كأنما راقت لها الفكرة:

- فكرة رائعة عشتار.

ثم أغلقت سيركت عينيها للحظات قبل أن تفتحهما وقد ارتسمت على ابتسامة ظافرة وهي تقول:

- إن مصطفى قادم إلينا الآن.

هنا ألقت عشتار جسدها الجميل على الأريكة وهي تقول بفتنة طاغية كعادتها:

- وأنا في انتظاره.

ثم أن ضحكتها هذه كانت تخفي قلق دفين، قلق على من يحاربون في الجهة الأخرى من البوابة، قلق على سيث ومحاربيه الذين تجمعوا في هذه اللحظة نفسها أمام بوابة القصر محاولين اقتحامها وهم يهاجمون بأعداد كبيرة أجبرت حرس البوابة على التراجع داخل القصر، حيث كان يقف كبير الحرس مع زياد وأدونيس وبيرسيفون وإيريشكيغال التي استلت سيفها وبدت متحفزة وهي تنظر إلى المقتحمين الذين توسطهم سيث بجسده الأسمر اللون وملامحه الحادة وشعره المجعد وقوامه القوي وطوله الفارع وسيفه العريض ودرعه الدائري:

- استسلمي بيرسيفون لا يوجد أمل لديك.

هكذا صاح سيث بينما وقفت بيرسيفون تنظر إلى المهاجمين بينما وقف حرس القصر بينهم بدروعهم وسيوفهم:

- ما الذي تفعله سيث؟ أنت تعلم أنني أحكم هذا العالم منذ آلاف السنوات وتعلم أن هناك قواعد وقوانين تحكم كل هذا.

تحرك سيث بين صفوف جيشه الصغير وهو يقول:

- لقد سئمنا كل هذا، أنا وعفاريت العالم السفلي، سئمنا هذا العالم الصخري الذي تجري به الحمم أنهارًا وسئمنا سقفه الحجري، يجب أن نخرج نحو عالم البشر.

- لقد أخذنا على أنفسنا عهدًا من بعد أن مات ملك عظيم من بني البشر عملنا معه وبنينا له وأنشأنا محاريب وكنا نغوص له في البحار، عاهدنا أنفسنا ألا تخرج عفاريت العالم السفلي نحو السطح ولا تؤذي بشرًا.

- تتكلمين كما لو أننا وحدنا في هذا العالم، الجن يجوبون مشارق الأرض ومغاربها بيرسيفون وشياطين إبليس يعيشون مع البشر وحتى الملك العظيم الذي تتحدثين عنه قرّن أعدادًا مننا ومن الجن في الأصفاد.

- لقد كانوا مجرمين فاستحقوا العقاب.

هنا تدخلت إيريشكيغال في الحديث:

- هذه ليست خطتك سيث، ولم تكن أبدًا.

ثم تقدمت أمام مقاتليها بقوامها الرياضي ودرعها الذهبي اللامع:

- كانت هذه خطة أختي عشتار منذ الأزل ألا تتذكر؟ عندما هبطت من بابل إلينا مدعية أنها ستعيش بيننا بينما كانت خطتها الخروج بهذا العالم إلى عالم البشر واحتلاله، لولا أنني أدركت خطتها منذ أن وطأت بوابتنا وجردتها من قواها فلم تستطع العودة.

ثم استدركت إيريشكيغال:

- لولا أن ملكة العالم السفلي وقتها تدخلت ما عادت عشتار إلى عالم البشر آنذاك وما أصبحت قصة نزولها إلى العالم السفلي ووقوفي بوجهها أسطورة تحدثت وتغنت بها الحضارة البابلية.

أخذ سيث نفسًا عميقًا وقد بدا عليه الغضب:

- لقد بدأ صبري ينفذ بيرسيفون، استسلمي فالتمرد وصل حتى داخل قصرك.

مدت بيرسيفون يدها بهدوء لتخرج سيفا حادًا من جراب خبأتها بظهرها بينما تدلى شعرها ليخفي مقبض السيف:

- بيرسيفون لا تستسلم يا سيث.

ولم تكد إيريشكيغال تسمع هذه الجملة حتى وجهت سيفها نحو أقرب محاربين سيث لينطلق منه وميض نار ليخترق صدر المحارب ليسقط أرضًا جثة هامدة.

وفي لحظة اشتعل الموقف وبدأت ألسنة النيران في التطاير من أطراف السيوف والحراب وبدأت الجثث في التساقط، ووجد زياد نفسه وسط كل هذا وأدونيس بجانبه ينحني ليلتقط درعًا وسيفًا من جانب جثة أحد المحاربين، ووجد الحراس يحيطون بيرسيفون بدروعهم بينما تفرق سيث ومن معه مختبئين خلف الأعمدة التي ملئت قاعة القصر متحينين لحظة وأخرى لتكثيف هجومهم نحو بيرسيفون وجنودها فلم يجد زياد بُدًا من أن يلتقط هو الآخر أحد الدروع ليحمي جسده من الألسنة القاتلة منضمًا إلى بيرسيفون وأدونيس خلف دروع المحاربين بينما ظلت إيريشكيغال تطلق ألسنة النار من أمام الجميع، إلا أن أعداد المهاجمين بدأت في الازدياد حيث عبر عدد آخر منهم بوابة القصر فهتفت إيريشكيغال بحراسها:

- تراجعوا.

إلا أن بيرسيفون صاحت:

- لا تتراجعوا، سنموت ونحن نقاتل.

في تلك اللحظة وجد زياد نفسه قريبًا جدًا من بيرسيفون والتقت أعينهما فوجد نفسه يصيح بها:

- بل نتراجع الآن ونقاتل وننتصر في يوم آخر.

لم تدرِ بيرسيفون لم غاصت في عيني هذا الأسمر ذو الحلة السوداء ولم تدرِ لمّ شعرت بصدق كلامه ولم تدرِ كيف ذهب عنها هلع المعركة! كل ما تعرفه بيرسيفون أنها هدأت تمامًا وهي تقف خلف الحراس بل أنها تشبثت بذراعي أدونيس وزياد معًا خلف حراسها وهي تهتف:

- أطيعوا أوامر إيريشكيغال.

وبالفعل بدأ الجميع يتراجع نحو الباب الخلفي للقاعة الذي خرجت منه بيرسيفون منذ قليل، وظلت بيرسيفون متعلقة بذراعي زياد وأدونيس ومن أمامهما الحرس الملكي للقصر يصدون بدروعهم ألسنة النيران المصوبة نحو الملكة، ومن أمامهم تتراجع ببطء إيريشكيغال التي ظلت تطلق أشعات اللهب من سيفها ولا يفوتها كل حين أن تتفادي لسان لهب أو أن ترفع درعها لتصد آخر حتى توارى الجميع خلف الباب الخلفي الصغير للقاعة؛ ليغلق خلفهم ومن وراءهم اندفع سيث مع بعض رجاله نحو الباب المغلق، وهم يشعرون أن بيرسيفون أصبحت قاب قوسين أو أدنى من أيديهم بعد أن تقلص عدد حراسها للنصف على الأكثر.

وبجنون اللهفة بدأ سيث ورجاله يحطمون الباب الصخري بسيوفهم ودروعهم، ولم يصمد الباب تحت وطأت الضربات كثيرًا؛ فإذا به يتداعى ويندفع سيث برجاله ليجدوا أنفسهم داخل غرفة صغيرة محكمة الإغلاق ولا توجد بها حتى نافذة:

- ما هذا بحق الآلهة؟

صاح سيث وهو يتلفت حوله حيث لا أثر لأي كائن كان بشري أو شيطاني، حيًا أو ميتًا داخل الغرفة حيث ظلت دهشته لدقائق وهو يتفحص أرجاء الغرفة، ولكن شعوره هذا لم يظل كثيرًا حيث تبدلت نظرته إلى الفرحة العارمة وقد أدرك لتوهِ أنه سيطر على القصر الملكي للعالم السفلي وأن الملكة نفسها وكبيرة محاربي العالم السفلي قد هربتا من القصر.

التمعت ابتسامة الزهو على وجه سيث وهو يخرج من باب الغرفة حيث القاعة الملكية ليجلس على العرش وهو يصيح برجاله:

- والآن احكموا قبضتكم على هذا القصر جيدًا و افتحوا أعينكم وآذانكم وسأفتح بنفسي بوابة المرور نحو عالم البشر، وفي المرة القادمة التي ستفتح بها البوابة من الجهة الأخرى سنمر جميعنا.

ثم ازدادت ابتسامته جنونًا وعينيه لمعانًا وهو يستطرد:

- عندما تفتح سيركت بوابة العالم البشري سنحتل هذا العالم تمامًا.

ثم تحولت ابتسامته إلى ضحكة مجنونة

ضحكة عفريت من العالم السفلي

عفريتٌ مجنونٌ منتصر.

****

البوابــة

جلس مصطفى بمبنى المحافظة وعيناه تشعان اللون الأحمر الذي أصبح معتادًا لسكان طنجة وازداد عليه بريقًا ذو نكهة بشرية وهو يحدق في مفاتن عشتار الخلابة بينما وقفت سيركت هادئة كعادتها بجانب المكتب

- قل لي يا مصطفى.

- أمرك يا سيدتي.

هكذا أجاب مصطفى سيركت التي سألته

- كيف استطعت فتح البوابة؟

- أنا ومجموعة من سحرة طنجة درسنا كثيرًا السحر الأسود الذي انتشر في مصر في العصور القديمة وكيف كانوا يستطيعون سحر أعين الناس ووقفنا كثيرًا أمام أسطورة ايزيس وأزوريس حتى وصلنا للجزء الذي استطاعت به سيركت من تجميع وعودة أزوريس.

ثم أدار عينيه نحو سيركت وهو يبتسم قائلًا:

- كان هذا عملٌ عبقريٌ منك بالمناسبة.

لوهلة شعرت عشتار بغيرة من سيركت التي استطاعت أن تجعل بشري يشيح بنظره عنها ويجاملها فقالت متمتمة:

- في الحقيقة هي لم تفعل شيئًا سوى أنها جاءت بعفريت من العالم السفلي ليتقمص شخصية أوزوريس ثم أعادته مرة أخرى لذلك فالأسطورة لا تحكي شيئًا عن أوزوريس بعد ذلك.

نظرت سيركت نحو عشتار بغضب كما لو أنها أدركت غيرتها ثم قالت لمصطفى:

- أكمل.

استطرد مصطفى:

- تابعنا بعد ذلك عنايتك بحورس حتى وجدنا أجزاء في القصة غير مفهومة ورسومات غريبة ثم وجدنا سلسلة من البرديات تدل على بردية سرية لعودتك وبحثنا في كل مكان عن تلك البردية وطال بحثنا عنها في شبكة النت حتى وجدنا شخصًا يعرض هذه البردية للبيع، فعرضنا عليه مبلغًا واشتريناها، ونحن على علم واستعداد تام لخدمتكما.

قامت عشتار من مجلسها وهي تسأل بدلال كعادتها:

- من هذا الشخص يا مصطفى؟

- إنها فتاة تدعى سلسبيل، كانت قد وجدت تلك المخطوطة في بيت جدها كما تدّعي.

قالت عشتار:

- فتاة؟!

شعر مصطفى بقليل من الارتباك:

- بالطبع ليست بمثل جمالكما.

انطلقت ضحكة عفوية من شفتي عشتار بينما قالت سيركت:

- نريد رؤيتها.

- هي التي هربت من المنزل مع الساحر.

اقتضب جبين كلا من عشتار وسيركت وسادت لحظات من التفكير في المكان حتى قالت سيركت:

- لا بأس نريد أن نذهب إلى بيتها

- لا توجد مشكلة، هاتفها وعنوانها وكل بياناتها يمكن استخراجهما بسهولة من أي من أتباعكما بشركة الهاتف الذي اتصلت به

- إذًا لا تضيع الوقت مصطفى واحضر عنوانها.

زاد ارتباك مصطفى وهو ينهض مسرعًا متخطيًا بعض الأثاث المكتبي في طريقه ليخرج من الباب بينما وقفت عشتار تنظر إلى سيركت التي قالت لها:

- يجب أن تكُفي عما تفعلينه عشتار، هي ليست بمبارزة أينا يجمع أتباعًا أكثر.

ضحكت عشتار ضحكتها الخلابة وهي تقول:

- لا يستطيع بشري أن يرفضني، وأنتي تغاري مني لهذا.

- لو كنا في زمان غير الزمان ومكان غير المكان كنت ذكرتك بجلجامش ملك أوروك الذي رفضك قديمًا ولكننا في مهمة واحدة بهدف واحد والتعويذة التي صنعتها تجعل البشر تابعين لكلانا، فلا تضيعي مجهود آلاف السنوات سدى.

ظهر الامتعاض والغضب الشديدين على وجه عشتار وخصوصًا عندما ذكرت جلجامش الملك الأسطوري لبابل ولكنها كتمت كل هذا بداخلها وهي تقول:

- لا بأس سيركت، أنا أيضًا لا أريد الدخول في صراع جانبي معكِ وسأتعاون معكِ حتى النهاية.

ثم جلست على الأريكة الوثيرة بمكتب المحافظ وهي تسأل:

- والآن ما الذي تريدينه من بيت تلك الفتاة؟

- سأذهب هناك أفتش بنفسي ربما أجد أي شيء يدلني على كتاب بابل، فالبردية كانت محمية منذ فترة بساحر بابل الذي يملك ذلك الكتاب.

ثم اقتربت من عشتار وهي تردف:

- وأتمنى من كل قلبي الوصول لذلك الكتاب وفتح بوابة العالم السفلي على مصراعيها وتحقيق حلمك بإحضار ذلك العالم فوق سطح الأرض والسيطرة على الجنس البشري للأبد.

وهذه المرة ضحكت سيركت وعشتار تنظر إليها وسرت قشعريرة في جسد عشتار وهي ترى حلمها يقترب من النور.

- فلتذهب تلك الفتاة إلى الجحيم، المهم إحضار كتاب بابل وفتح تلك البوابة.

- البوابة داخل القصر.

قالها أدونيس لزياد وهم يهرعون في ذلك السرداب الصغير تحت الغرفة الصغيرة للقصر.

- ما الذي تقصده؟

- أقصد أن عالمكم كان يا زياد في مأمن لأن إيريشكيغال وبيرسيفون كانتا تحميان البوابة، ولكن البوابة تفتح مباشرة في القاعة التي تحتوي على العرش ووجود سيث في هذه الغرفة أكبر خطر على عالمكم فهو صاحب إمكانيات لا تتخيلها، ومروره إلى عالمكم سيطلق قدراته كلها ويمكن أن يدمركم في ليلة وضحاها!

اقترب الجميع من باب سري للخروج من السرداب كان عبارة عن صخرة ضخمة تقبع على قارعة نهر من الحمم يمر بجوار القصر فبدأت إيريشكيغال في تسلق الصخرة ثم تبعها بقية الحراس ثم بيرسيفون وأخيرًا أدونيس وزياد، حتى تمكن الجميع من تجاوز الصخرة، فجلس من بقي من الحراس وبيرسيفون يلتقطون أنفاسهم ويتحسسون أجسادهم بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الإبادة، بينما وقفت إيريشكيغال وأدونيس وزياد ينظرون نحو القصر الصخري الذي يقبع بنهاية السهل الذي تتوسطه أنهار من الحمم.

- لقد وقع القصر الملكي.

قالتها إيريشكيغال بأسى بالغ اتضح في كل حرف من كلماتها.

- لقد ظل هذا القصر في حمايتي لآلاف السنوات ولم يجرؤ أحد من سكان العالم السفلي على التفكير في اقتحامه.

ثم نظرت نحو زياد في غضب:

- أنت وعالمك السبب فيما حدث.

ثم انطلقت نحو زياد لتحيط عنقه بذراعيها أو هذا ما أرادته ولكن لدهشتها الشديدة وجدت زياد ينسل من بين ذراعيها وهو يمسك أحدهما ليلويه بعنف، اضطرت معه إيريشكيغال للانحناء إلى الأمام وهي تشعر بألم شديد في كتفها، إلا أن إحساس الألم لم يكن هو الشعور الوحيد الذي شعرت به إيريشكغال لقد شعرت بدهشة عارمة فقوتها وبأسها مشهورين بين بني جنسها ولم يجرؤ أحد من محاربي العلم السفلي على تحديها في نزال وليس هزيمتها فما بالك ببني البشر! ولكن في الحقيقة أن زياد نفسه لم يكن بأقل منها دهشة فلقد وجد جسده يتحرك تلقائيًا بمجرد أن شعر بتهديد من إيريشكيغال، ودهشته هذه زادت عندما حاولت إيريشكيغال أن تفلت من قبضته وهي تستدير موجهة إليه لكمةً صاروخية تفاداها بسهولة شديدة قبل أن يدفعها نحو الأرض الصخرية ويرقد فوقها بقبضتين من حديد تحيطان بجسدها مكبلان حركتها تمامًا.

- كفى.

دوى صوت بيرسيفون كزئير الأسد الغاضب في عرينه، فإذا بذراعي

زياد يرتخيان وهو ينهض مطلقًا سراح إيريشكيغال بينما وقفت الأخيرة مذعنة لأوامر مليكتها وهي تنظر شزرًا نحو زياد.

- ما الذي يحدث زياد؟

- ما الذي تقصدينه بيرسيفون؟

- أقصد ما قمت به للتو، وكيف أقنعتني بالانسحاب من القصر؟! إن هذا ضد كل عقيدة آمنت بها طوال فترة حكمي إلا أنني وجدت نفسي أغوص في عينيك ووجدتني أطيعك رغمًا عني!

أطرق زياد بنظره نحو الأرض وهو يحاول أن يبحث عن إجابة.

- صدقيني لا أعلم بيرسيفون.

ثم رفع نظره نحو الجميع وهو يقول:

- صدقوني جميعًا أنا لا أدري كيف فعلت هذا أو ذاك، ولا أدري مدى قوايا في هذا العالم ولا أتذكر شيئًا عن وجودي بينكم وأنا صغير، كل ما أعلمه أنني كلما أشعر بالتهديد أجدني أتصرف بنحو يثير دهشتي شخصيًا.

ثم جلس زياد بحلته السوداء وعباءته المميزة وهو يضع رأسه بين قدميه متمتمًا.

- لا أعلم لما فعل جاد هذا بي ولا أتذكر من كنت حقًا.

ظل الجميع يتبادلون النظرات فيما بينهم، وزياد على وضعه وفي

الحقيقة أن الجميع شعر بقدر من التعاطف معه حتى إيريشكيغال نفسها وجدت نفسها تقول له:

- لا بأس زياد.

إلا أن زياد نفسه رفع رأسه سريعًا وقد غابت ملامح الأسى عن وجهه وهو يقول لأدونيس:

- لقد قلت أن البوابة بالقصر؟

هز أدونيس رأسه موافقًا:

- نعم، هي في القاعة الكبيرة تفتح عند العرش تمامًا.

فنظر أدونيس إلى إيريشكيغال:

- كيف وصلت عشتار وسيركت إليها إذًا؟

ردت إيريشكيغال بتلقائية:

- وماذا في ذلك، إن عشتار أختي وتعيش معي وسيركت لا تفارقها.

اتسعت عينا زياد:

- أختك؟

- نعم، لقد قلت هذا أمامك لسيث.

- كنت أظنك تروين الأُسطورة فقط، وكيف تتركونها حرة؟!

- هي لم تقترف شيئًا تعاقب عليه في عالمنا، وحلمها بالسيطرة على عالمكم لم يجعلها تجرم في شيء.

همَّ زياد بالاعتراض إلا أنه في لحظة أدرك أن منطقه غير منطقهم وأن ما هو متعارف عليه في عالمه ربما كان غير ذات معنى في العالم السفلي، فأغلق زياد فمه والتزم الصمت مما جعل إيريشكيغال تستطرد:

- لقد شعرت بالبوابة وهي تفتح وهرعت إليها ولكنني لم أتمكن من اللحاق بعشتار وسيركت ولكنني أستطعت منع سيث ومن معه بمجموعة صغيرة من محاربيني ولكنه استطاع أن يجمع عدد آخر من المحاربين والهجوم علينا.

ثم نظرت نحو أدونيس وهي تقول:

- ثم لمَ تلومني على وجود عشتار حرة وحبيبها يقبع بجانبك؟!

التفت زياد نحو أدونيس بدهشة وهو يتسائل:

- حبيبها؟

إلا أن أدونيس نفسه لم يبدو مهتمًا بالدفاع عن نفسه أو حتى أنه وجد في حبه لها تهمة وهو يبتسم:

- بالطبع حبيبها.

ثم مال نحو زياد وهو يقول:

- ألم ترَ جمالها؟!

ثم انطلقت من فمه ضحكة زادت توتر زياد:

- كنت أظنك تحب أفروديت.

هنا دوى الضحك بين الجميع وزياد يحدق بهم مذهولًا كما لو أنه أطلق نكتة جميلة.

- مالذي قلته ويجعلكم جميعًا تضحكون؟

بدأ الضحك يقل كثيرًا مع آخر كلماته حتى أخذت بيرسيفون نفسًا ثم قالت:

- لا تؤاخذنا زياد ولكن عشتار هي أفروديت.

أطرق زياد بنظره نحو الأرض الصخرية مرة أخرى:

- لقد اختلطت عليا الأمور تمامًا.

خيم السكون التام على الجميع بينما تبادل حراس العالم السفلي وبيرسيفون وأدونيس وإيريشكيغال النظرات فيما بينهم، بينما ظلّ زياد مطرقًا رأسه بين ركبتيه حتى اقترب منه أدونيس بلطف:

- هون عليك زياد.

ثم ربت على كتفه وهو يستطرد:

- هيا قم، سأعود بك إلى عالمك باستخدام الباب السري المصمم على قبضة يدي والوسيلة الوحيدة لرجوعك غير البوابة الموجودة بالقصر.

رفع زياد نظره وهو يتسائل:

- وأنتم ماذا ستفعلون؟ ما خطتكم أدونيس؟

إلا أن الجواب جاء عن طريق إيريشكيغال

- رغم أن هذا لا يعنيك إلا أننا سنذهب إلى مدن العالم السفلي ربما مدينة الموتى أو المدينة المقدسة أو حتى أوليمبوس نفسها لنحضر المزيد من المحاربين ونُداهم القصر لنسيطر عليه مرة أخرى.

ظلّ زياد جالسًا في وضعه وقد أنهكه التفكير، بينما بدأت إيريشكيغال في تنظيم صفوف محاربيها حول بيرسيفون استعدادًا للنزول إلى المدن القريبة حتى تمتم زياد وهو جالسًا بصوت خافت:

- لا

التفتت إيريشكيغال بحدة نحو أدونيس

- ما الذي تقوله أيها البشري؟!

نهض زياد من جلسته ببطء وهو يُكمل

- قلت لا، لا يمكن أن يحدث هذا، بينما تنزلون إلى مدنكم لتعودون بمزيد من العفاريت والشياطين يكون سيث قد عبر نحو عالمنا وستكون هزيمة ثلاثتهم مستحيلة.

ثم نظر نحو أدونيس وهو يقول:

- لم يبعثني كتاب بابل نحو هنا لمعرفة تاريخي أو حتى أن أعلم أن العالم السفلي بشكل أو بآخر جزء مني وتربيت لمدة سنوات به، ولا لأعلم أن أفروديت هي عشتار، الكتاب لا يفكر أبدًا بشكل شخصي سواء

له أو لساحره، لقد شعر بتحرك سيث نحو البوابة وبعثني لأوقف سيطرته على البوابة قبل أن يتفاقم الوضع.

ثم أدار عينيه نحو بيرسيفون

- يجب أن تكون هناك وسيلة أخرى.

ثم أردف :

- محاربين قريبين يمكنهم نجدتنا أو سلاحٍ ما.

هنا أدارت بيرسيفون نظرها نحو إيريشكيغال مما لفت انتباه زياد

- ما الذي تخفيانه؟

سكتت بيرسيفون بينما ظلت تنظر نحو إيريشكيغال التي قالت:

- في الواقع هناك سلاح كنا قد نسيناه.

ثم ابتسمت وهي تنظر نحو زياد وتقول:

- ولكن هذا السلاح لن يروق لك زياد، لن يروق لك اطلاقًا.

قالتها وابتسامتها تزداد اتساعًا ودهاءً.

****

جـاد

دلفت عشتار وسيركت وبعض أتباعهما ومن قبلهم مصطفى إلى بيت قديم في حي بويوسف بمدينة طنجة.

- هنا تعيش المدعوة سلسبيل إذًا؟

تساءلت سيركت فأجابها مصطفى على الفور:

- هذا هو العنوان المسجل في شركة هاتفها يا سيدتي ولكن ...

ثم تنحنح قليلًا مما دفع سيركت أن تسأل بحزم:

- ولكن ماذا؟

- المكان ليس مسجلًا باسمها يا سيدتي، إنه باسم جدها حاجي مصطفى

فتدخلت عشتار بدلالها المعهود في الحديث

- ولكنها تعيش هنا يا مصطفى، أليس كذلك؟

وكالعادة لهث مصطفى لدلال عشتار

- أعتقد هذا يا سيدتي.

- تعتقد؟

- نعم يا سيدتي، أعني لمّ تأتي الفواتير إلى بيت جدها إذا كانت لا تسكنه؟

تلفتت عشتار حولها ثم قالت للرجال

- هيا ابحثوا.

وقف الرجال للحظات قبل أن يقول أحدهم:

- نبحث عن ماذا؟

ابتسمت عشتار ابتسامتها الخلابة وهي تقول:

- ابحثوا عن أي شيء غريب تجدونه، ورقة، بردية، كائن غريب، أي شيء، أريدكم أن تفحصوا البيت كله.

انطلق الرجال ومعهم مصطفى للمهمة التي وكلوا بها في حين نظرت سيركت نحو عشتار وهي تقول:

- لماذا تصرّين على التصرف هكذا؟

التفتت إليها عشتار في دهشة:

- التصرف كيف؟

- بطريقتك تلك، تطلبين كل شيء بدلال لتثيري غرائز الرجال، لمّ لا تأمرينهم فقط، هم تحت طوعنا سيطيعون أوامرنا، لدغة ذلك العقرب تمكننا منهم تمامًا.

ضحكت عشتار كعادتها

- أنا لا أرى أي عيب في طبيعتنا الأنثوية كي أخفيها و.....

هنا اقتحم المحافظ البيت مرة أخرى وهو يلهث كأنما شياطين الدنيا كلها تجري خلفه

- سيدتاي، جيش المغرب كله يحاصر المدينة والناتو وأساطيل البحرية الملكية والأسبانية والفرنسية يحاصرون الشاطئ، وهناك لواء مشاة كامل ولواء مدرعات بدآ في اقتحام المدينة من الجهة الشرقية.

لم يبد التأثر على أي من عشتار وسيركت والأخيرة تقول في لا مبالاة:

- حسنًا أيها المحافظ، سنتعامل معهم بعد انتهائنا من هذا المنزل

- سيدتي لقد بدأ الاقتحام بالفعل!

هنا أشاحت سيركت بيدها للخلف فإذا بجسد المحافظ البدين يطير إلى الخلف في الهواء وظهره يصطدم بالحائط ليسقط على الأرض ولكنه لم يلبث أن نهض سريعًا وسيركت تصيح:

- قلت لك سنتعامل معهم.

- أمرك يا سيدتي.

قالها المحافظ وهو يهرول خارج المكان كما جاء بالضبط.

- هل هذا هو الأسلوب الذي تريدينني أن أستخدمه؟

التفتت إليها سيركت في غضب وهمت بتوبيخها فإذا بأحد الرجال يخرج من غرفة مجاورة وهو يقول

- أيتها الملكة، يجب أن تري هذا.

وكأنما كانت تلك الإشارة التي تنتظرها عشتار وسيركت اللتان انطلقا خلف الرجل وهو يدخل داخل غرفة ثم يدلف في باب صغير يؤدي إلى

سلم يقود نحو قبو شبه معتم إلا من شعاع صغير يتسلل من ضوء الغرفة نفسها.

كان القبو يبدو أنه لم يستخدم لفترة طويلة والأتربة تغطي جدران المكان إلا أن عشتار نفسها وقفت حائرة وهي تسأل:

- ما الذي وجدته؟

ارتبك الرجل قليلًا وهو يقول:

- سيدتي لقد طلبت منا إبلاغك بأي أمر غير طبيعي وهذا غير طبيعي.

التفتت عشتار حولها وهي لا تكاد أن ترى شيئًا.

- ما هو الشيء غير الطبيعي في الغرفة؟!

- الغرفة نفسها سيدتي، لم نتعود في بيوتنا وجود قبو سفلي.

هنا صفقت عشتار بيديها مرتين لتضيء الغرفة بلون قرمزي ينبعث من الجدران نفسها لتتضح ملامح الغرفة التي ظهرت مربعة الشكل لا تتعدى الثلاثة أمتار عرضها ويتوسطها عمود من الجبس عليها نقوش غريبة ما إن رأتها سيركت حتى هتفت:

- أخيرًا!

أصابت الدهشة عشتار نفسها لرد فعل سيركت القوي

- أخيرًا ماذا سيركت؟!

التفتت سيركت نحو عشتار وملامحها تتقافز من الفرحة.

- أخيرًا وجدنا ضالتنا عشتار.

ثم دارت حول نفسها وهي تشير إلى الجدران وسعادة الأطفال بيوم العيد في عينيها.

- انظري حولك، هذه هي غرفة الكتاب.

ثم قفزت نحو العامود لتحتضنه.

- وهنا كان يقبع الكتاب لسنوات

ازداد شعور عشتار بالدهشة وهي ترى سيركت تتراقص أمامها من الفرحة فقالت بحظر:

- لقد قلتِ بنفسك، كان يقبع ولكنه ليس هنا الآن.

ازدادت ملامح سيركت ابتسامة وعيناها تضيئان بلون الزهو.

- ولكنني أستطيع ارجاعه هنا عشتار.

هنا تبدلت ملامح عشتار نحو الفرحة وهي تهتف بدورها:

- حقًا؟! وماذا تنتظرين؟ هيا افعليها

هدأت سيركت قليلًا وهي تقول:

- الأمر ليس بهذه السهولة.

شعرت عشتار بخيبة أمل:

- ألم تقولي أنك تستطيعين فعل هذا؟

- نعم، أستطيع ولكن الطقوس ستحتاج بعض الوقت.

انقبضت أسارير عشتار:

- لقد سمعتي البدين بنفسك هناك جيش يهجم علينا.

- أعلم عشتار، لذا يجب عليكِ أن تذهبي.

- تريدينني أن أصد جيشًا كاملًا؟!

- معكِ عقاربي وسكان طنجة كلهم ملك يمينك.

ثم ابتسمت سيركت ابتسامة مطمئنة

- أنتِ لها وتستطيعين صد جيوش وحدك.

ابتسمت عشتار بدلال بدورها

- أعلم هذا، كنت فقط أريدك معي

- ابدأي أنتِ وبمجرد حصولي على الكتاب ستجدينني بجانبك.

ثم التفتت سيركت لتقف خلف العامود وتبدأ تعويذتها بينما خرجت عشتار من المنزل يتبعها مصطفى ومن معه.

****

- عشتار هي أفروديت

هكذا صاحت سلسبيل وهي تجلس بجوار جاد أمام كهف شيتارا بتنزانيا

- نعم، في الحضارة الإغريقية عرفت عشتار باسم أفروديت

- ولماذا تفعل هذا معلم جاد؟

أخذ جاد نفسًا طويلًا ثم قال:

- عشتار هي واحدة من أقوى عفاريت العالم السفلي، عرفت بأسامي كثيرة في كثير من الحضارات فهي كانت عشتار وكانت عشتارت وكانت فينوس وكانت أفروديت، هي الوحيدة التي ستجدي ذكرها في الأربع حضارات البابلية والكنعانية والإغريقية وحتى الفراعنه، اقتبسوا عشتارت من الكنعانيين أيام حكم الهكسوس.

- أريد أن أعرف أكثر عن شخصيتها.

- أكثر ما قيل عن شخصيتها كان في الحضارة البابلية، ويبدو أن البابليون أغرموا بها فلقد وصفوا شكلها وشخصيتها بل وحللوا اسمها ونحتوا لها التماثيل بينما كانت بقية الآلهة بالنسبة لهم أسماء لا أكثر، عرفت عشتار بحبها الشديد للظهور وإثارة مشاعر الرجال إلا أن حبيبها الأول أدونيس أو أوانيس الذي أشيع أنه مات عن طريق خنزير بري وهو يصطاد، فبكته عشتار وأمرت السماء والأرض والزرع أن يبكوا عليه ولكنني أجد صعوبة في تصديق هذه الرواية، المهم بعدها كانت عشتار تغري الرجال ومن يرفضها منهم تحوله إلى حيوان أو جماد، حتى رفضها ملك جاء من بعد عهد الطوفان هذا الملك يدعى جلجامش وكان ملك عظيم عرف بمغامراته وحروبه حتى أنه وصل لنبتة الخلود ولكنها أُخِذَت منه.

- هي لا تقبل الرفض إذًا.

- تقول الأسطورة أن بالبداية كانت عشتار تدافع عن الجنس البشري أمام أخيها بِل حتى موت أدونيس ورفض جلجامش لها فنزلت إلى الجحيم وأرادت اقتحامه ولكن حارس العالم السفلي تصدى لها بأوامر من أختها إيريشكيغال التي رفضت دخولها، فبرقت ورعدت عشتار حتى سمحت لها إيريشكيغال بتخطي أبواب العالم السفلي على أن تخلع مع كل باب أسلحتها وقدراتها حتى دخلت إلى العالم السفلي بلا أي قدرات فوجدت نفسها بلا أي حول ولا قوة.

- ولماذا أرادت عشتار النزول إلى العالم السفلي؟

- أرادت أن تخرج عفاريت العالم السفلي إلى عالم البشر لتسيطر عليه وحاولت أن تثير القلاقل بينهم لتجعلهم يثورون ضد البقاء في العالم السفلي والتغذي على الحمم والأتربة للصعود إلى جنة الدنيا كما وعدتهم، ولكن إيريشكيغال تصدت لتلك المحاولات حتى تدخلت الملكة إيا لعودتها إلى عالم البشر بعد انتشار الفقر والجفاف والمجاعات التي اعتبرها البشر لعنة لعدم عودة عشتـ.....

قطع جاد حديثه فجأة ثم نهض وهو يتمتم

- ما الذي يحدث، أشعر بأمر غريب يحدث لي!

أدارت سلسبيل نظرها نحو المعلم ولم تكد تفعل حتى اتسعت عيناها عن آخرهما وهي تصيح:

- أستاذ جاد، ما الذي يحدث لك؟! إن لونك يبهت كما لو أنك تختفي

ظل جاد يدير رأسه وهو يحاول تلقي أي إشارة لما يحدث له:

- سلسبيل إن صوتك يضعف أين أنتِ؟

صاحت سلسبيل وهي لا تدرِ ماذا تفعل:

- أستاذ جاد!

ثم تذكرت شيتارا فجريت نحو الكهف وهي تصيح

- شيتارا، النجدة

ولم تمضِ ثوانٍ معدودة حتى كان يخرج شيتارا مع سلسبيل من الكهف ولكن جاد نفسه لم يكن له أي أثر حول الكهف بل في تنزانيا كلها.

ظل جاد جامدًا كالصخر في مكانه وهو يلتمس أي علامة عن مكان وجوده حتى ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- لقد عدت إلى منزلي أليس كذلك؟! لا يمكن أن أخطئ رائحة بيتي

دوى صوت عميق بجانب العجوز جاد:

- مرحبًا بك ببيتك مجددًا أيها العجوز.

ازددادت ابتسامة جاد:

- لقد غاب عني هذا الصوت طويلًا.

- ها قد عدت إليك.

- ولكنك تخليت عن عجوز ضرير في الماضي.

- تعرف أن المشاعر والأحاسيس لا تتحكم بي أو بقراراتي .

هز العجوز رأسه موافقًا ثم سأل:

- ما الذي تريده مني أيها الكتاب؟

دوى الصوت العميق داخل الغرفة مرة أخرى:

- هناك من يجذبني للعودة إلى طنجة مرة أخرى.

- إحدى الملكتين؟

- نعم جاد، تريد استخدامي لفتح البوابة، وأنت تعلم أنني لا يمكن أن أسمح بهذا.

- ما الذي تريده مني بالضبط أيها الكتاب؟

- أريدك معي جاد.

شعر جاد بدهشة عارمة:

- تريد أن يكون ساحر بابل عجوزًا ضريرًا؟

- لا، أنت لا تستطيع التصدي للملكتين، ثم أن لدي ساحر بالفعل.

- إذًا ما المطلوب؟

- أريدك أن تساعد تلميذك.

- افصح عما يدور في طياتك سريعًا أيها الكتاب.

ساد صمت لبضع ثوانٍ ازدادت فيها حيرة جاد وهو يحاول أن يشحذ حواسه ليرى بها ما يدور حوله ويسابق بعقله الزمن محاولًا أن يتنبأ بمهمته التالية قبل أن يدوي الصوت العميق مرة أخرى.

- لقد رأيت ما فعلته في الكهف في تنزانيا وفي الحقيقة أنت ما زلت تدهشني بقدراتك معلم جاد، هناك سؤالان يجب أن تجيبهما أولًا قبل أن أقول لك طبيعة مهمتك.

- اسأل أيها الكتاب.

- لأي درجة تحب تلميذك معلم جاد؟

أصابت الدهشة الشديدة جاد للسؤال الذي هو متأكد من أن الكتاب يعلم جوابه ومع ذلك لم يتردد ثانية واحدة في الرد:

- أحبه كولدي الذي لم أنجبه وكصديق عمر لي لم يفارقني منذ أن التقيته منذ أن كان عمره العشرة أعوام، عشنا معًا وحاربنا السحرة والشياطين معًا وكان بجانبي عندما أُخِذ بصري مني ودافع عني ودافعت عنه هو كل شيء لي في الحياة، بل هو الحياة نفسها.

- جيد مُعلم جاد سؤال أخير، إلى أي مدى أنت مستعد للدفاع عن زياد؟

- لا أعلم لم تسأل أسئلة أنت تعلم إجابتها!

- أجِبني أولًا أيها المعلم، إلى أي مدى أنت مستعد للدفاع عن زياد؟

- إلى أبعد مدى أيها الكتاب، حتى لو اضطررت لأفديه بروحي.

ساد الصمت لبضع لحظات أخرى قبل أن يقول صوت الكتاب العميق:

- جيد يا معلم جاد أننا اتفقنا على المبدأ.

- أي مبدأ هذا؟!

- أنك على استعداد للتضحية بحياتك.

ثم صمت لحظات أخرى وهو يقول

- والآن اسمعني جيدًا.

وفي الحقيقة أن مشاعر جاد في هذه اللحظة كانت مزيجًا من الفرحة الشديدة لعودته للعمل مع الكتاب ومن الإثارة والقلق من تلك المسئولية.

ومع استطراد الكتاب في حديثه ازداد خوف وقلق جاد

فكل كلمة يسمعها كانت تحمل في طياتها خطرًا كاملًا على حياته وحياة زياد.

وفي الحقيقة إن الاختيارات التي كان يطلقها الكتاب كانت محدودة للغاية

فإما المخاطرة بحياتهما أو سيطرة العالم السفلي على عالم البشر

ولم يكن أمام جاد إلا اختيارًا واحدًا،

واحدًا فقط ولم يتردد جاد لحظة واحدة

الطُعم

- لقد وجدت هذا البشري سيث

قالها أحد عفاريت العالم السفلي وهو يجر جسد زياد على أرض القصر وآثار الجروح تملأ وجهه الأسمر، وقد غطت الأتربة بدلته السوداء حتى تحول قميصه الأبيض إلى اللون الرمادي في حين كُبِلَت يديَّ زياد خلف ظهره وقيدت قدميه معًا مما دفع سيث للنهوض من فوق العرش وهو يهتف بجنديه:

- أين وجدته يا هذا؟

قال المحارب:

- وجدته في سرداب تحت الغرفة التي اختفوا فيها حيث كانت حراستي، سمعت همهمة تحت الغرفة فتحسست الجدران والأرض حيث اكتشفت سرداب خفي تحت تلك الغرفة ووجدت هذا البشري مقيد بداخل السرداب

أشار سيث لأكثر من محارب ليتبعوه وهو يقول للجندي:

- أرني ذلك السرداب.

ثم أشار للبقية من جنوده:

- تأهبوا جميعًا ولا يتحرك أحدكم من تلك القاعة بدون أوامري.

ثم أشار نحو زياد:

- إذا تحرك هذا البشري فلا تترددوا في قتله.

ثم تحرك مع جنوده نحو الغرفة الصغيرة فوجد جزءًا من أرضية الغرفة مرفوع؛ لتظهر تحته سلالم تؤدي إلى السرداب فنظر نحو اثنين من محاربيه:

- أنتما اذهبا وتفقدا السرداب.

ثم أشار لاثنين آخرين:

- وأنتما أحرسا المدخل وأي شيء يحدث أبلغاني على الفور.

ثم عاد مسرعًا نحو القاعة الرئيسية واتجه مباشرة نحو زياد:

- من أنت أيها البشري وما الذي جاء بك إلى عالمنا ولماذا اخترت اليوم بالتحديد؟

رمقه زياد بنظرة نارية:

- لن تحصل مني على أي شيء يا هذا.

لم يكن سيث بالهدوء الذي تمناه زياد فلم تكد تنتهي كلمات زياد حتى أطاح سيث بقدمه في بطن زياد المكبل والملقى على الأرض في ركلة كالقنبلة انطلقت معها صرخة ألم مكتومة من فم زياد ثم أشار سيث بعدها لمحاربيه ليجبروا زياد على النهوض فساعده اثنان منهم لينتصب مواجهًا سيث:

- لا أعلم أيها البشري، إذا كنت سمعت عني أم لا،ولا أعلم أين تعلمت

لغتنا ولكنني كنت رمزًا للشر بين بني جسدك لعقود، وستجد أن الصبر ليس من شيمي لذلك حاول ألا تجعلني أكرر أسئلتي، من أنت؟

كان الوهن يبدو على صوت زياد من قوة الركلة السابقة وهو يحاول جاهدًا أن يتمالك نفسه بمساعدة محاربي سيث:

- أنا لا أعلم أين أنا ولا أعلم كيف وصلت إلى هنا.

بدا الغضب الشديد على ملامح سيث وهو يصيح بوجه زياد:

- أنت تكذب أيها البشري وستعلم عواقب ما تفعله.

ثم انطلقت قبضته بلكمة كالقنبلة نحو أنف زياد، انفجر معها شلال من الدم ولكن سيث لم يبالِ على الاطلاق وهو يتبع اللكمة الأولى بثانية في بطن زياد لتجعله ينحني وهو يتأوه فأمسك سيث بشعر رأسه ليرجعها إلى الوراء وتنهال قبضتيه على وجه زياد الذي ملأت الدماء ملامحه واختفى وجهه الوسيم خلف كدماته، ولم تكد تمر ثوانٍ حتى خارت قوى زياد ليسقط على الأرض من بين أيدي الحرس وسيث يقول:

- سأقتلك أيها البشري إذا لم تقل لي من أنت؟

وبوهنٍ شديد، ومن بين الدماء التي تخرج من فم زياد:

- أنا ساحر بابل.

انعقد حاجبي سيث وهو ينظر نحو محاربيه ثم ينظر مجددًا نحو زياد

- أنت؟

- نعم، أنا.

- وما الذي تفعله بالعالم السفلي؟

- أرسلني كتاب بابل.

هنا لمعت الفرحة بعيني سيث

- إذًا فهو مازال موجودًا؟

سكت زياد تمامًا وهو يجاهد لالتقاط أنفاسه بينما أكمل سيث استجوابه:

- ومن الذي قيدك هكذا وألقاك بالسرداب؟

- إنها إيريشكيغال ومحاربيها.

- وما الذي جعلها تفعل بك هذا؟

- قالت أنها لا تحب كوني بشري.

سكت سيث للحظات ثم بدا الغضب الشديد على قسماته:

- المؤسف أن الكذب يظهر على وجهك في نفس اللحظة التي تنطق بها.

ثم انحنى سيث بلكمة كالقنبلة لينفجر معها شلال جديد من الدماء من جُرح آخر فوق حاجب زياد ثم رفع سيث قبضته الثانية لتنزل على وجه زياد ولكن الأخير هتف.

- لا بأس سأخبرك، إيريشكيغال أوقعت بي.

نهض سيث من فوق جسد زياد وهو يمسح الدماء من فوق قبضته:

- ما الذي تقصده؟

كانت عيني زياد شبه مغلقتين والدماء تغطي كامل وجهه

- كنت أسأل إيريشكيغال، إذا ما كان هنالك أسلحة يمكننا مباغتتك بها لاستعادة القصر، فإذا بها تنقض عليَّ مع محاربيها ليكبلونني، ثم سمعتهم يتهامسون على وضعي بالسرداب كطعم لك ولجنودك في حين يلتفون حول القصر ليدخلوا من البوابة الغربية حيث رأس ميدوسا وسيف بيرسيوس ودرع أيغيس وحذاء هرمس وخوذة هادس.

ابتسم سيث وهو يقول:

-أنت تحكي عن أسطورة ميدوسا الجميلة التي مارست الحب مع بوسيدون ملك البحار فغضبت عليها أختها أثينا وحولتها إلى وحش وتركتها بوجهها الجميل لتستطيع إغواء الرجال، فمن ينظر نحو وجهها يتحول إلى تمثال حجري، حتى استطاع بيرسيوس قتلها بسيفه الحاد وحذاء هرمس الذي يمكنه من الطيران وحقيبته التي تستطيع أن تحميه من عيني ميدوسا وخوذة هادس التي تخفيه عن العيون ودرع أيغيس البراق الذي استطاع أن يرى به ميدوسا بدون النظر إليها مباشرةً.

ثم ازدادت ابتسامته وهو يستطرد:

-أنني أعرف تلك الاسطورة جيدًا، بل أنني أعرف أبطالها شخصيًا.

ثم تحولت نظرته إلى الغضب وهو ينظر نحو عيني زياد

- أتحاول الاستهزاء بي، تلك الأسلحة لا وجود لها، ولو وجدت فلن تعمل بالعالم السفلي حيث تتوقف كل قوانين السحر.

كان الإعياء الشديد يظهر على زياد وهو لا يستطيع رفع رأسه

- أنا لا أفقه شيئًا مما تقول، ولا أحاول إقناعك بشيء، سألتني عما حدث فقلت لك ما حدث لي.

ظل سيث ومحاربيه صامتين للحظات وسيث يحاول أن يخترق عقل زياد الملقى أمامه وهو في حالة يرثى لها حتى اقترب أحد المحاربين من سيث وهو يهمس له:

- إن الجهة الغربية من القصر مُؤَمنة يا سيدي ولكن القوة التي تؤمنها لن تستطيع وحدها رد إيريشكيغال بجيشها الصغير.

كانت علامات التفكير الشديدة تظهر على قسمات سيث في حين مرت اللحظات والمحارب لا يتلقى أي اجابة مما دفعه لأن يقول مرة أخرى:

- سيث، نحن في انتظار أوامرك.

أدار سيث رأسه نحو محاربه ثم عاد ينظر نحو زياد مرة أخرى

-أتعلم، لو اكتشفت أنك تكذب يا هذا سأعود لك ولن أترك شبرًا واحدًا في جسدك البشري الضعيف هذا إلا وجعلته ينزف حتى الموت.

رد زياد وقد قارب أن يفقد وعيه:

- أنا لا دخل لي بك أنت أو إيريشكيغال كل ما أريده غلق تلك البوابة.

هنا دوت ضحكة سيث بين جنبات القصر

- لن تستطيع وقتها فعل شيئًا، بل لن تستطيع الوقوف على قدمك حينها.

ثم استدار نحو جنوده ليقسمهم فريقين، يتكون كلًا منهما من عشرة جنود طلب من أول نصف منهم الانتظار بالقاعة في حين طلب من الباقي اتباعه نحو البوابة الغربية لزيادة تأمينها.

مرت دقائق قليلة وزياد يتلوى على الأرض متأوهًا ثم بدأ صوته يهدأ رويدًا رويدًا حتى ظن المحاربين أنه فقد وعيه أو حتى حياته، ولكن بعد قليل وجدوه يعتدل جالسًا وهو ينظر نحو أقربهم إليه وشبح ابتسامة خفيفة يتوارى بين كدمات وجهه وهو يسأل الجندي:

- هل لديكم رياضة هنا؟

تبادل الجنود النظرات المتعجبة فيما بينهم قبل أن يعود الجندي لزياد

- رياضة؟

- نعم، رياضة، أتمارسون أي رياضة هنا، مثل الملاكمة؟

بدت ملامح الضيق على وجه المحارب وهو يقول:

- اسمع أيها البشري، لا أدري أي لعبة تلعبها معي ولكنني لن أتبادل معك الحديث.

استطرد زياد حديثه كأن لم يسمع أي شيء

- أتعلم لمّ أحب الملاكمة، لأن الذي يفوز ليس الأقوى دائمًا ولكن في أوقات كثيرة يفوز الأقدر على تلقي اللكمات.

تحولت ملامح المحارب إلى الغضب وهو يصيح:

- قلت لك كفى!

ومرة أخرى استكمل زياد حديثه

- أتعلم لمّ ينجح الساحر في عمله؟ لأنه يعتمد على عنصر الخداع تتحرك يده اليمنى بينما تؤدي اليسرى كل الخدع.

استشاط المحارب غضبًا

- أقسم لك إذا لم تكف لألقنك درسًا لن تنساه.

- لقد قيل لي مرة أنني أمهر من هوديني.

هنا انفجر بركان الغضب داخل المحارب وهو يخطو نحو زياد

- لقد طفح الكيل.

ثم أطلق قبضة كالقنبلة في وجه زياد، أو هذا ما أراده، ولكنه فوجئ بقبضته تضرب الهواء وزياد يقف بجانبه وقد حل قيوده في جزء من الثانية.

- مفاجأة أليس كذلك؟

وفي حركة خاطفة استل زياد سيف المحارب وهو يطوق عنقه بذراعه ليتخذ من جسده درعًا له ويطلق أشعة سيفه نحو أقرب جنديين له حينها

بدأ المحاربون في الإفاقة من مفاجأة زياد وبدأوا يستلون سيوفهم، ولكنهم فوجئوا بإيريشكيغال وأدونيس ومحاربيها يخرجون من السرداب مطلقين اللهيب الأحمر من سيوفهم؛ ليحاصروا محاربي سيث بين مطرقة زياد وسندان إيريشكيغال، ولم تمض لحظات حتى افترش جنود سيث أرض القاعة الرئيسية للقصر جثثًا هامدةً، وزياد وأدونيس وإيريشكيغال يسارعون لإغلاق القاعة الرئيسية للقصر بينما كانت بيرسيفون تخطو داخل القاعة الرئيسية متوجهة نحو عرشها لتجلس عليه معلنة بذلك انتهاء سيطرة التمرد على قاعة الرئاسة، وقفت إبريشكيغال تنظم جنودها للدفاع عن القاعة الرئيسية ثم نظرت نحو وجه زياد المدمى

- لقد تحملت كثيرًا أيها البشري، لا أظنك ستصمد كل هذا أمام لكمات سيث.

- كان يجب أن أتحمل، فلو أنني بُحت له بالخدعة مباشرة لما صدقها.

ثم لاحت في وجهه شبح ابتسامة

- ثم إنني كنت قادرًا على الاطاحة به في أي وقت لولا أنني كنت أنفذ خطتكِ، أليس هذا هو السلاح الذي كنت تقصدينه؟

ابتسمت إيريشكيغال هي الأخرى وهى تقول:

- نعم، سلاح المكر والخديعة.

هنا دوت صوت طرقات قوية على باب القاعة الرئيسية للقصر وصوت الأشعة ينطلق في الخارج في محاولة لتحطيمها.

نظمت إيريشكيغال صفوف جنودها بينما جلست الملكة بيرسيفون على عرشها شامخة كعادتها ووقفت إيريشكيغال أمام البوابة في تحدي سافر للمقتحم ثم نظرت نحو زياد وأدونيس

- حان وقت رحيلكما.

انعقدت أسارير أدونيس بينما قال زياد:

- بل سنبقى ونحارب معكم.

- لقد انتهت معركتكما هنا وسيث لن يستطيع اختراق هذا الباب وقد تقلص عدد محاربيه للنصف، كما أنني طلبت تعزيزات من الحرس وهم في طريقهم إلى هنا الآن، لن يستطيع سيث العبور من تلك البوابة لو فتحت مرة أخرى إلا على جثتي أنا.

قال أدونيس وهو ينظر نحو العرش:

- أنتِ لن تحتاجينا بيرسيفون.

ابتسمت بيرسيفون واثقة

- كما قالت إيريشكيغال كل شيء تحت السيطرة.

ثم نظرت نحو زياد

- لقد أتممت مهمتك هنا أيها البشري على أكمل وجه، وجاء الوقت أن تعود لتمنع فتح البوابة من جهتكم، وسنظل شاكرين لمجهودك ما دمت على هذا العرش، وستجد مني كل العون إذا ما احتجته.

هنا ابتسم زياد بدوره رغم الجراح التي تدمي وجهه

- شكرًا أيها الملكة.

ثم نظر نحو إيريشكيغال وهو يقول

- أنتِ محاربة عظيمة ولقد شرفت بالقتال لجانبك .

ثم تحول نظره نحو أدونيس

- ربما من الأفضل أن نرحل أدونيس.

- هيا زياد، سنهبط السرداب الذي جئنا منه ونذهب حيث الكهف الذي صمم خصيصًا لي لأعبر منه بين العالمين حيث نكون في قبرص بعد قليل.

وبالفعل لم يمض الكثير من الوقت وكان أدونيس يقف مع زياد أمام المطعم الذي يعمل به الأول فوق الصخرة حيث تساقطت مياه الأمطار الخفيفة عليهما، بينما كانت نسيم البحر العليل يداعب جروح وجه زياد

- إلى أين سنذهب الآن أدونيس؟

سأل زياد أدونيس الذي انعقدت أساريره مندهشًا.

- سنذهب؟ هل تعتقد أننا سنذهب معًا؟

- ألن نفعل أدونيس؟

- لا زياد، لن يحدث هذا.

- كنت أعتقد أنك تدين لي بمعروفٍ.

- لا زياد لا أدين لك بشيء، ربما بيرسيفون تدين لك أو حتى إيرشكيغال لكن ليس أنا، أنا لا أهتم لملك بيرسيفون.

ثم أخذ نفسًا طويلًا وقال:

- وحتى لو أنني أدين لك بشيء فإنني أخرجتك من العالم السفلي.

ساد الصمت بعدها لحظات وزياد يتأمل البحر فسأله أدونيس:

- بما تفكر زياد؟

- ظننت أنك ستساعدني أدونيس

- سأفعل زياد، ولكن في الوقت وبالطريقة التي أحددها، فأنا لا أستطيع مواجهة حبيبتي حتى لو كان من أجل البشرية بأسرها.

ابتسم زياد متهكمًا

- وكيف ستساعدني إذا لم يكن هدفك إنقاذ البشرية بأسرها؟

- أنت لا تحتاج مساعدة زياد كل ما تحتاجه القليل من الإيمان.

- الإيمان؟

- نعم زياد، الإيمان بنفسك وبقدراتك، أنت ساحر بابل تعلمت السحر على أيدي عفاريت العالم السفلي وأصقلت موهبتك مع ساحر أسطوري، قدراتك في العالمين لا حدود لها.

- لقد حاولت من قبل مواجهتهما والمعلم قال لي أنني مغرور.

- هناك فرق بين الإيمان والغرور، يجب أن تثق بداخلك بأنه لا يوجد شيء لا تستطيع فعله.

صمت زياد قليلًا إلا أن أدونيس لم يمهله الكثير للرد

- آسف زياد هذه حربك وليس حربي، ولو أنني أكترث لأحد في تلك الحرب فسيكون اهتمامي فقط بأفروديت

كان كل ذلك الحديث يدور وزياد شارد الذهن وهو ينظر لمياه البحر حتى ساد الصمت لثوان، فالتفت زياد نحو أدونيس فإذا بالأخير قد اختفى، ظل زياد لدقيقة يتلفت حوله حتى أدرك أن أدونيس قد فارقه هو الآخر.

دس زياد يده في جيب سترته ليخرج منها صورة غرفته وقد اهترئت بفعل مياه البحر فقال لنفسه:

- سأحتاج إلى صورة أخرى لغرفتي، ولكن هذه ستفي بالغرض الآن.

ثم ألقاها وقفز نحوها

واختلط ظلام الليل بضوء الغرفة وصوت تحطم الأمواج على الصخور بهدوء البيت وقلت قطرات المطر حتى امتزجت جزيئات زياد بصورته ودخل بها واختفى زياد والصورة ليظهر داخل غرفته بمصر.

ولوهلة شعر زياد بأن هناك شيء غير طبيعي

ثم جحظت عيناه من هول ما فكر به وقطع الطريق نحو غرفة الكتاب بخطوتين واسعتين وتسمر على بابها

لقد اختفى كتاب بابل

وتبعثرت كل الصور في أرجاء الغرفة

وشعر زياد بالضياع والوحدة وضياع الأسطورة

أسطورة ساحر بابل ...

إلى الأبد

****

المعركة

جلست سلسبيل خارج الكهف بتنزانيا تراقب أشعة الشمس وهي تجاهد لتشق طريقها بين ظلام الليل وبين السحب التي ملأت السماء لتلون تلك السحب بلون برتقالي خلاب.

ومن بين تلك اللوحة الرائعة بدأت دوامة هوائية صغيرة خلف سلسبيل وما لبثت أن تعدى قطرها النصف متر لتطرد كل شيء قريب منها، ثم يظهر من داخلها صورة مصغرة من زياد ظل حجمها يكبر حتى خطى زياد نفسه خارج الدوامة؛ لتختفي بعدها تمامًا.

قفزت سلسبيل عندما رأت وجه زياد الدامي المليء بالكدمات وملابسه المبتلة وهيئته الرثة:

- ما الذي حدث لك؟

تجاهل زياد حديثها وهو يخطو داخل الكهف يصيح:

- معلم جاد أين أنت؟ معلم جاد.

ولكنه سرعان ما خرج متوجهًا نحو سلسبيل:

- أين ذهبا المعلم جاد والساحر شيتارا؟

- لقد اختفى المعلم جاد، بينما ذهب شيتارا لإحضار الطعام، فما يحدث أكبر من أن يستطيع إيقافه أو حتى المساعدة في ذلك كما وصفه.

أصابت الدهشة زياد غير مصدقًا لما يسمعه:

- ما الذي تقصدينه باختفى؟

- هذا ما حدث صدقني كنا نتحدث وفجأة بدأ لونه يبهت واختفى تمامًا أمام ناظري!

جلس زياد على صخرة قريبة منه واضعًا رأسه بين راحتيّ يده؛ لتبدأ القطرات تتهادى من بين خصلات شعره المبتلة فاقتربت منه سلسبيل في هدوء حذر فسمعته يتمتم بصوت خافت

- لا أدري ماذا أفعل، اختفى الكتاب أولًا والآن المعلم!

اتسعت عينا سلسبيل

- اختفى الكتاب؟

لم تتلقَ سلسبيل أي رد بل لم يبدو حتى أن زياد سمعها وهو ثابت على هذا الوضع لما يزيد عن الدقيقتين

- إنني آسفة صدقني لكل ما يحدث فأنا السبب في كل هذا.

رفع زياد رأسه ببطء نحو سلسبيل

لا بأس سلسبيل، أنتِ لم تكُني تعلمين بما سيحدث أو أهمية تلك البردية.

- صدقني هذا ما حدث .

نهض زياد من فوق الصخرة مواجهًا سلسبيل

- يجب أن نعود الآن.

أومأت سلسبيل برأسها ايجابًا

- وأنا مستعدة للذهاب معك في أي مكان.

أخرج زياد صورة غرفته المهترئة مرة أخرى من جيبه ليلقيها أمامه ويأخذ يد سلسبيل ليقفزا معًا داخل الصورة ليظهرا في نفس اللحظة في غرفته بالقاهرة وقد غطت أشعة الشمس محتوياتها.

اتجه زياد بخطوات متثاقلة نحو أريكة ليجلس عليها بحالته التي يرثى لها وملابسه المبتلة ووجهه المطمس بالدماء الذي أسنده على راحتيه متكئًا بعضديه على فخديه في وضع أثار شجن وتعاطف سلسبيل التي جلست بجانبه وهي تنظر إليه في صمت حتى مرت بضع دقائق وزياد لا يتحرك تمامًا فسألت سلسبيل:

- ماذا ستفعل الآن؟

- لا أعلم.

حاولت سلسبيل أن تبحث في رأسها عن أي فكرة أو حتى جملة تشجيعية يمكن أن تساعد بها زياد، ولكن كل محاوَلاتها باءت بالفشل مما أثار حنقها هي شخصيًا، فهبت واقفة وهي تصيح:

- كيف لا تعلم؟! من يعلم إذاً؟! افعل شيئًا بالله عليك أنت ساحر بابل.

رفع زياد رأسه بتثاقل شديد وهو يقول بصوت أكثر تثاقلًا:

- أنا أضعف مما تتخيلين سلسبيل.

أصابت الدهشة سلسبيل لكلماته

- لقد رأيتك تقاتل.

- خدع، كل ما رأيتيه خدع.

- لقد أطلقت سكاكين من العدم وأنشأت حائطًا.

- لم أنشئ شيئًا من العدم، وتلك الأسلحة تكون مخبأة بعباءتي وإطلاقها عبارة عن مسألة خفة يد ليس أكثر، والحائط لم يكن حقيقيًا، لأن الصاعقة التي أطلقتها الساحرة لم تكن حقيقية، هي فقط وهم يحاول عقل الساحرة إنشاءه لتوهم عقولنا بأننا صُعِقنا، والجسد لا يستطيع الحياة بدون عقل فأنشأت أنا وهمًا ليصد وهم الساحرة ليس أكثر.

صُدِمَت سلسبيل لما تسمعه فجلست مرة أخرى بجانب زياد وقد ذهبت الحماسة عنها

- لقد رأيتك تصد رصاصًا وتلقي تعويذات وتتنقل بين الصور.

ابتسم زياد بأسى

- التعويذات إما تعلمتها من العالم السفلي أو من جاد أو من الكتاب نفسه، والعباءة التي أرتديها ألقى عليها سحرة فرعون منذ قديم الأزل تعويذة عليها تجعلها غير قابلة للتدمير، فحتى الرصاص لا يخترقها وحتى القفزة التي أفعلها الكتاب هو الذي علمني إياها.

- ما معنى ما تقول؟!

- أقول أنني بدون المعلم والكتاب فإنني ساحرٌ عادي وليس ساحر بابل.

ثم أعاد رأسه بين كفيه مرة أخرى وهو يتمتم:

- أشعر أنني مشوش، عقلي لا يعمل.

ثم نهض وهو يقول:

- هذا ليس أنا وليس تفكيري.

ثم هز رأسه كأنما ينفض الأفكار الغريبة عنه.

- سأذهب لأغتسل وأغير ملابسي ربما كانت المياه الدافئة هي ما احتاج.

ظلت سلسبيل في وضعها بعد أن أصابها الإحباط مما تسمع، وظلت تراقب زياد وهو يفتح دولاب ملابسه ويتناول بدلة سوداء بقميصٍ أبيضٍ طبق الأصل من التي يرتديها ثم يخطو نحو حمام منزله ويغلق الباب خلفه.

نهضت سلسبيل بدورها من فوق الأريكة وشعور الذنب يكاد يقتلها.

هل ستكون هي بالفعل سبب احتلال العالم السفلي بشياطينه وعفاريته عالم البشر.

هل ستكون تلك البردية التي وجدتها وباعتها عي سبب فتح أبواب الجحيم على مصراعيها.

كل ذلك بسبب ضائقة مالية مرت بها.

تبًا لشعور الذنب والعجز اللذان تشعر بهما.

كل تلك الأفكار طافت بعقل سلسبيل وهي تخرج من غرفة زياد حيث وجدت جهاز التلفاز أمامها فجلست على الأريكة لتشاهد تلك المشاهد التي تعرضها قناة الأخبار العربية، ثم مدت يدها لترفع صوت التلفاز حيث انطلق صوت المذيع:

"وكما ترون أمامكم مشاهدينا فإن فرقة المشاة التي أرسلها الجيش المغربي تقف مع عدد كبير من سكان طنجة ليشكلوا جيشًا مدعومًا من لواء مدرعات كامل يواجه الجيش الملكي المغربي نفسه في تطور غريب للأحداث، وحتى اللحظة لا نتلقى أي إفادة عن سبب تحول تلك الفرقة على الجيش الملكي المغربي ولا حتى مطالب أهالي طنجة، ويلاحظ في الصور التي التقطت بواسطة طائرة حربية تابعة للجيش الملكي وجود محافظ طنجة نفسه بجانب سيدة مجهولة ومعهم بضعة أشخاص لم يتم التعرف عليهم بعد".

كانت سلسبيل تحدق في الصور عندما فجأة جحظت عيناها غير مصدقة لما ترى ثم هتفت بصوت عالٍ

- زياد، زياد.

خرج زياد مسرعًا بعد أن ارتدى بنطلونه وقميصه الأبيض مفتوحًا.

- ما بك سلسبيل؟

قالت سلسبيل وهي تشير نحو التلفاز

- أليس هذا هو المعلم جاد؟!

اقترب زياد بدوره من التلفاز فإذا بالعجوز جاد يقف بجانب عشتار ومحافظ المدينة مرتديًا حُلة أنيقة وتشع عينيه بلون الدم.

تمتم سلسبيل بصوت خافت:

- لا أفهم! ما الذي حدث

لم يبالِ زياد بالرد عليها، وقد تسمرت قدماه على الأرض وتوغلت مقلتي عينيه داخل شاشة التلفاز والمذيع يستطرد:

"هذا وقد أطلق الجيش الملكي المغربي تحذيرًا لتلك القوات ولأهالي طنجة، بإلقاء أسلحتهم والسماح للجيش بالدخول إلى المدينة وإلا أُعتِبروا قوة عدائية اضطروا للتعامل معها، هذا وقد أمهل الجيش الملكي المغربي القوات عشرة دقائق قبل أن تبدأ العملية الشاملة، هذا وقد أيد حلف الناتو والأسطولين الفرنسي والأسباني هذه الخطوة للحفاظ على سهولة الحركة في البوغاز بينما تقترب المدمرات البريطانية والأمريكية من مدينة طنجة في خطوات استباقية، بينما قال وزير خارجية أمريكا أنهم يتابعون الموقف عن كثب وأن بلاده مستعدة لتقديم الدعم للمغرب لاستعادة سيطرتها على البوغاز".

كل هذا وزياد واقف أمام التلفاز لا يحرك ساكنًا والمذيع يستطرد:

"مدينة طنجة الساحلية الساكنة التي ربما لا يسمع عنها الكثيرون والتي يقترب عدد سكانها من المليون نسمة أصبحت الآن محل اهتمام العالم".

امتدت يد سلسبيل لتخفض صوت التلفاز وهي تنظر لزياد متوجسة:

- لماذا يقف جاد بجانب تلك الساحرة؟ ولماذا تضيء عينيه بلون أحمر؟

وبصوت خافت رد زياد:

- يبدو أنها سيطرت عليه.

- وهل تستطيع إنهاء تلك السيطرة

- لا أعلم، أقصد لو أن معي الكتاب كنت أستطيع ولكن...

ثم صمت تمامًا واتجه نحو غرفته وهو يغلق قميصه سريعًا ويعدل من هندام ملابسه مما دفع سلسبيل لتسأله

- ما الذي تفعله؟

- سأذهب إليه.

- والساحرتان؟

استدار إليها زياد وغضب هادر يظهر على وجهه:

- هذا العجوز ليس معلمي فقط، هو معلمي ووالدي وأسرتي وأصدقائي وكل ما أملك في هذه الدنيا.

ثم استدار مرة أخرى يتناول جوربين يلبسها وهو يستطرد:

- كما أن هناك أمورًا عالقة بيننا أريد أن أسأله عنها.

- والساحرتان زياد؟

نهض زياد وهو يتجه نحو الدولاب ليرتدي جاكت البدلة.

- لقد نجحا في إثارة غضبي.

- ماذا ستفعل بهما؟

- سأفعل ما أجيده.

ثم اتجه نحو الحمام ليأخذ العباءة وهو يقول:

- كل ما تعلمته من فنون السحر ومن تعاويذ العالم السفلي والعلوي سأنفذه سأجعلهما يتمنيان لو لم يخرجا من العالم السفلي، سأرسلهما بنفسي إلى الجحيم وساستعيد كتابي.

- لقد قلت إنك ضعيف.

- لقد فهمت كل شيء الآن، الموضوع لا يتعلق بالضعف والقوة كل ما نفعله أوهام نقنع عقول خصومنا بها ومن كان عقله أكثر ثباتًا وقوةً سيفوز حتمًا في تلك المعركة.

ولم تتمكن سلسبيل من إلقاء سؤالاً آخرًا

ولم يمهلها زياد

اتجه بكل قوته نحو التلفاز الذي كان يعرض الأحداث عرضًا حيًا، وقفز نحو الصورة المركزة ما بين الجيشين وفي الخلف يظهر جاد وعشتار والمحافظ ومصطفى ومعهم بضعة رجال واختفى زياد داخل الشاشة.

وبلهفة اتجهت سلسبيل نحو التلفاز لترفع الصوت مرة أخرى فجاءها صوت المذيع:

"وقد انتهت المهلة التي أمهلها الجيش المغربي للقوات المعادية، وجاءنا الآن أنه صدرت الأوامر للجيش بالاشتباك"

ولكن الصورة ظلت كما هي، لم تنطلق رصاصة واحدة بل لم يتحرك فردًا واحدًا من الجانبين لمدة تزيد عن نصف الدقيقة، فانطلق صوت المذيع مرة أخرى:

"نحن لا نفهم ما حدث، ولكن القوات من الجانبين لم تتقدم ولا تستجيب، بل يبدو كما لو أن الصورة قد ثبتت على هذا الشكل، ولكن مهلًا هناك شخص ما يخترق صفوف الجيش المغربي وهو يتجه نحو المنطقة ما بين الجيشين، ملامحه لا تكاد أن تتضح حيث ما زال ظلام الليل يخيم على المغرب ولكن يبدو أنه يرتدي حُلة سوداء وقميص أبيض وفوقهما عباءةً، كما لو أنه خرج لتوه من حفلة كلاسيكية"

ومن مكانها هتفت سلسبيل:

- زياد.

وكذلك فعل جاد وهو يقف بجانب عشتار التي قالت:

- لقد أطلق تعويذة لايقاف الجنود من الجانبين.

ثم صمتت قليلًا وحاجباها ينعقدان كما لو أنهما سيمتزجا قبل أن تتسع عيناها دهشة وهي تقول:

- لا يمكن هذا، إنني لا أستطيع كسر تلك التعويذة، إنها قوية جدًا!

هنا ابتسم جاد وعينيه تضيئان ذلك اللون الأحمر.

- اتركيه لي سيدتي.

نظرت عشتار نحو العجوز وهي تقول:

- أواثق أنت من ذلك؟ لقد كادت سيركت أن تنتهي من عملها مع الكتاب وتفتح أبواب العالم السفلي.

ابتسم جاد بثقة:

- لا تقلقي سيدتي لقد علمته كل شيء يعرفه في السحر ويكفي أن تعويذته لم تؤثر بي لأنه أضعف مني ومنك، ثم أن بيني وبينه ثأرًا قديمًا أحتاج تصفيته.

استدار بعد ذلك العجوز بحلته الأنيقة ليخترق القوات مقتربًا من زياد حتى أصبح في منتصف الميدان بينما تراصت المدرعات والجيشان خلفهما بينما بدأت الأمطار في الهطول من جديد.

- معلم جاد هل أنت بخير؟

ابتسم العجوز متهكمًا:

- لم أكن أفضل حالًا من الآن.

- معلم جاد، أنت تعلم أنني لن أقاتلك، فقط دعني أواجه الساحرتين.

- في الحقيقة أن الموضوع كان مؤلمًا بالبداية، فبمجرد أن يلسعك العقرب تشعر بألم في كل أعصابك وعضلاتك ولكن بعد ثوانٍ تجد عقلك يتفتح وعيناك تضيئان، أتعلم أنني أستطيع الرؤية ثانية!

- معلم جاد، فقط تنحى جانبًا.

قالها زياد وهو يتقدم ليتخطى جاد ولكن الأخيرأطلق كرة من ضوء شديد لتصطدم بصدر زياد ويطير جسده إلى الخلف بضعة أمتار ليسقط على ظهره بينما أطلق جاد ضحكة مجلجة:

- أتعلم أن كتابك كان يريد أن يعقد صفقة معي، كان يريد إرسالي إليك في العالم السفلي وننتظر حتى تفتح البوابة ونفاجئ مليكتاي.

في نفس الوقت الذي بدأ به زياد في محاولة النهوض ولكن العجوز سارع باطلاق قذيفة ضوء أخرى لتعيده في بركة مياه تكونت بفعل الأمطار والعجوز يبدو مستمتعًا بكل لحظة وهو يكمل:

- تخيل لقد قاتلت من أجل هذا الكتاب لسنوات حتى أصابني العمى وأنا أقاتل، وفي النهاية يتخلى عني ويختارك لتكون ساحر بابل، أنت يا من قتل أبواه هنا في طنجة عندما كان معلمي يحارب جنًا، كان أسيرًا في العالم السفلي، وكان أدونيس يطارده فقتل أبواك صدفة وشعر أدونيس نحوك بتعاطف فأخذك معه للعالم السفلي ثم أعادك لي بعد أن أصبحت ساحر بابل.

وبوهن شديد رفع زياد جسده من على الأرض:

- مهما تقول أو تفعل فلن أقاتلك.

- لأنك ضعيف.

قالها جاد ثم ضم يديه أمام صدره لتتكون بين راحتيه كرة صغيرة مضيئة كما لو أنها شمسٌ صغيرةٌ فإذا به يفرد ذراعيه لتنطلق كرة

النار لتكبر وتحيط بجسد زياد لترفعه من فوق الأرض الثلاثة أمتار ثم تهبط فجأة لتنفجر وسط مياه الأمطار ويسقط جسد زياد فوق الأرض لا يتحرك منه غير نَفَسَهُ.

- أين أنا؟

هكذا هتف زياد وقد وجد نفسه في جنةٍ خضراء بها جدول مياه جميل وتحيط به الأشجار والورود والفراشات من كل جانب فرد عليه صوت جاد:

- أنت داخل عالم افتراضي صنعه عقلي خصيصًا لك.

- معلم جاد، أهذا أنت؟

- نعم زياد.

- إذًا فالساحرة لم تسيطر عليك؟

- لا زياد، لم تفعل، لقد شعر بي الكتاب وأنا أستخرج ذلك الترياق من جسد العقرب وصنعت به مصلًا حقنت به نفسي حتى لا أقع تحت سيطرتها إذا ما لسعني العقرب، وساعدني بتحويل عيني إلى اللون الذي تراه حتى أساعدك.

- ولكنك لا تبصر.

- قلت لك مرارًا زياد العين ليست شرطاً للرؤية.

- معلم هناك سؤال مُلِح أريد أن أسألك اياه.

- اسأل زياد.

- هل محوت ذاكرتي بالفعل؟

صمت صوت المعلم جاد قليلًا قبل أن يقول:

- نعم فعلت زياد ولكن كان هذا بناءً على طلبك.

- طلبي؟

- نعم زياد كان هذا آخر عمل لي كساحر بابل، أنت طلبت مني يوم أن سلمتك الكتاب أن أمحو ذاكرتك وأمحو كل شيء يتعلق بالعالم السفلي، قلت أنك لا تستطيع النوم وأنك تحلم بالشياطين والعفاريت على الدوام، قلت أن بداخلك جزء لا ينتمي إلى العالم البشري تود نسيانه، قلت أنك لن تكون ساحرًا جيدًا إلا إذا نسيت ما تعلمته هناك، هذا هو طلبك زياد.

- ماذا لو طلبت منك إبطال ما فعلته يا معلم؟

- احترس مما تطلبه يا بني، ما يحمله الماضي وما تحمله ذاكرتك أقوى من أن تتحمله!

- حتى لو كان هذا صحيحًا معلم، هذا لن يغير من أنا، أريد ذاكرتي.

- لا بأس زياد ولكنها لن تعود مرة واحدة، ستعود مقتطفات حتى تكتمل، والآن انهض وحاربني.

- لا أريد إيذائك معلم.

دوت ضحكة المعلم بالجنة الخضراء:

- أنت لا تستطيع إيذائي حتى لو حاولت والآن انهض وأرني أفضل ضرباتك.

ضرب البرق عنان السماء قبل أن يدوي صوت الرعد قويًا ليهز قوات الجيش التي امتلأ بها الميدان في حين وقفت عشتار تشاهد سعيدة حليفها الجديد العجوز جاد وهو يهوي بتلميذه ببركة المياه، وفي نفس اللحظة انطلقت شرارة برق مختلفة على بعد العشرة أمتار من جسد زياد، شرارة برق بدأت من الأرض لتضرب السماء ذات لون قرمزي ثم ازدادت تلك الشرارة لتضرب مرة ثانية وثالثة ورابعة، وفي النهاية كونت دائرة قرمزية، ومن مكانه تحرك جسد زياد بسرعة لينهض موجهًا أقصى طاقة من يديه نحو معلمه لتنطلق كرة نار أثارت دهشة جاد نفسه الذي رفع كفيه محاولًا ايقافها ولكن كرة النار حملت جسد العجوز لتلقي به وسط كومة نفايات على جانب الطريق وقف بعدها زياد وهو يلهث وينظر نحو الهالة الدائرية الكبيرة وكذلك فعلت عشتار، ولكن من بعيد ظهرت سيركت وجسدها يطفو فوق مئات العقارب التي تقترب من عشتار وهي تصيح:

- لقد نجحت، أخرجت التعويذة من ذلك الكتاب الرث وفتحت البوابة.

ارتسمت الفرحة على وجه عشتار وهي تعدو نحو البوابة هاتفة:

- حقًا؟! أين سيث إذاً؟!

ولكن جسد زياد وقف حائل بينها وبين البوابة وأشعة الشمس بدأت تداعب ظلام الليل.

- لن أسمح لكِ بعبور تلك البوابة عشتار، ولن تسمح إيريشكيغال بمرور سيث.

وقفت عشتار تنظر نحو زياد بغضب بينما كانت سيركت تقترب بسرعة ثم ابتسمت عشتار ساخرة وهي تقول:

- لن تسمح لي!

ثم رفعت عشتار يدها لتوجهها نحو زياد ولكنها فوجئت بسوط من نور يمسك راحة يدها وتقبض عليها في حين وقف جاد بين الحطام وهو يقول:

- في الواقع لن نسمح لك.

ظهرت الفرحة على وجه زياد ورفع كفيه لينال من عشتار ولكنه فوجئ بقنبلة تنفجر في صدره لتلقيه إلى الخلف وأدونيس يظهر فجأة:

- قلت لك زياد، كل ما تهمني عشتار ولن أسمح لك بإيذائها.

تهللت أسارير عشتار عند رؤية أدونيس وهتفت سعيدة:

- أدونيس.

ولكن الأخير أطلق مرة واحدة سوطاً آخر من نار ليحيط بجسدها وهو يقول:

- آسف حبيبتي ولكن ما تفعلينه خاطئ تمامًا ويجب أن أعود بك.

ثم بدأ يتحرك نحو البوابة ولكن عشتار أمسكت بسوط الضوء الذي يتعلق بطرفه الآخرالعجوز جاد وهي تقول:

- أدونيس أرجوك لا تجعلنا نتواجه.

ولكن أدونيس استكمل مسيرته نحو البوابة كأن لم يسمعها وهي تهتف خلفه:

- أدونيس حل وثاقي.

ثم تغيرت نبرتها للغاضبة:

- لن أسمح لك بتحطيم حُلمي أدونيس سآخذ هذا البشري معي.

وقف أدونيس وهو ينظر نحو جسد عشتار الجميل وحبل النار يحيط بجسدها كله في حين أمسكت براحة يدها حبل الضوء الذي ينطلق من يد جاد فنظر نحو جاد الذي لم يتردد ثانية واحدة وهو يهز رأسه كأنما يطلب من أدونيس أن يفعلها.

وتردد أدونيس ثوان وهو يدير عينيه بين أدونيس وجاد حتى حسم أدونيس قراره، وقفز نحو هالة الضوء القرمزية التي ابتلعته تمامًا، وامتد منها بريق فوق حبل النار؛ ليلتهم جسد عشتار، ثم يمتد البريق ممتزجًا بضوء البرق في السماء نحو حبل النور ليبتلع جاد وجسد

زياد المدمى بجراحٍ عدة ملقي على الأرض، في حين اقتربت سيركت بجيشها من العقارب نحو البوابة، وتقريبًا في نفس الوقت هتف زياد وسيركت بأسماء شركائهما ولكن صوتهما ضاعا وسط صوت الرعد وهما يحدقان في بوابة الضوء التي ابتلعتهم جميعًا.

وبغضب شديد نظرت سيركت نحو زياد الملقى على الأرض:

- سأقتلك يا هذا، أنت لم تفسد خطتي لإحضار عفاريت العالم السفلي إلى هنا فحسب، لقد أخدت شريكتي أيضًا.

نهض زياد وعلامات الغضب الشديد تظهر على وجهه

إنه لم يفقد فقط معلمه

لقد فقد صديقه

ووالده

والشخص الوحيد الذي تربطه به علاقة في هذا العالم

هو الذي يؤنسه

ويساعده

هو كل حياته

وبغضب شديد وقف زياد وهو يصيح بسيركت:

- أعيدي إليّ معلمي.

- لو كنت أستطيع إعادة أحد لأعدت جيشي.

بدأ زياد في التقدم نحوها وبدا مكفهرًا إلى أقصى حد:

- أعيدي إليّ معلمي ولن أقتلك.

ظهرت ابتسامة ساخرة على شفتي سيركت:

- تقتلني؟! ألا تعلم من أنا؟ أنا سيركت ساحرة مصر الأولى أنا الذي أعدت أوزوريس وحميت حورس وإيزيس، أنا الملكة العقرب يا هذا أنا التي تحكمت في مليون نسمة من جنسكم في سويعات قليلة.

- أنتِ تثيرين غضبي أيتها الملكة.

ثم نظر حوله نحو الجيش الكبير والدبابات التي حوله ثم رفع يده اليمنى ودار حول نفسه فإذا بكل ما ومن حولهما يختفي.

أتسعت عينا سيركت وهي تتلفت حولها غير مصدقة:

- أي نوع من السحر هذا!

- إنه نوعي أنا.

ولكن سيركت فردت يديها لتظهر بينهما حربة من نار ألقتها نحو زياد

واخترقت الحربة هدفها تمامًا

صدر زياد

ومرت عبر قلبه

لتخرج من ظهره

ولكن زياد لم يتحرك قيد أُنملة بل لم يبدو حتى أنه تأثر.

- لقد كنت مخطئًا، ظننت أن الوهم يحارب بالوهم، فالوهم يحارب بالحقيقة، كل خلية من جسدي الآن تدرك أن كل ما تفعلينه وهمًا يحاول عقلك الضعيف إقناع عقلي به، ولكن المفاجأة أنني أقوى منكِ، لقد كنت دائمًا أقوى منكِ، ولكنني لم أدرك هذا؛ لذلك أرسلني الكتاب برحلة لأعلم من أنا وما أنا بقادرٍ على فعله ولكي أوقف تحكم سيث بالبوابة وأُحِدُ من تدفق عفاريت العالم السفلي نحو هنا كي أواجهكما وحدكما.

ثم اقترب نحو سيركت وهو يستل مسدس من الأرض وقع من أحد الجنود:

- ما لم أكن أحسبه هو أن المعلم جاد يضحي بنفسه كي يحميني أنا.

ثم رفع مسدسه نحو رأس سيركت والأخيرة تحدق بعينيه ورعب الدنيا يتملكها وحياتها الطويلة عبر ثمان قرون تمر أمام عينيها وزياد يقول:

- لو كنا في ظروف أخرى لأقنع عقلك عقلي أنني أطلقت الرصاص ولم يؤثر بكِ ولكنني لن أتأثر بساحرة ضعيفة مثلك. والآن سؤالين فكري جيدًا قبل اجابتهما.

ثم رفع زر الأمان لمسدسه:

- هل تستطيعين إعادة جاد؟

ردت سيركت بكل الرعب:

- لا، لا أستطيع صدقني.

هنا شد زياد أجزاء مسدسه:

- هل حاولت الاستلاء على عالم البشر؟

- أنا مخطئة سامحني.

هز زياد رأسه نفيًا:

- وجودك خطر على البشر وغير مفيد إطلاقًا.

وفي محاولة يائسة ألقت سيركت سوط نار ليقبض على معصم زياد الذي يحمل المسدس ولكن قبضة زياد لم تتحرك وهو يقول:

- أرأيتي؟ لا يمكن الوثوق بك.

ثم أطلق رصاصته لتخترق منتصف جبهة سيركت بالضبط وتسقط سيركت جثة هامدة.

ومن مكانها قفزت سلسبيل فرحة وهي تشاهد سقوط سيركت وإغلاق الهالة الضوئية مع أول ظهور للشمس بطنجة ومذيع التلفاز يقول:

"نحن لا نعلم بالضبط ما يحدث ولا نعلم من هذا الشاب ولا السيدة التي ترتدي ثوبًا فرعونيًا التي قُتلت، ولكننا نلاحظ ظهور قوات الجيش من جديد وانتهاء حالة العيون الحمراء التي انتشرت، ظهور

ذلك الشاب مهما كان، نزع فتيل الأزمة ويبدو أنه- وهذا كلام غير مؤكد على لساني فقط- أنقذ العالم".

ولكن سلسبيل أخذت تحدق في صورة زياد التي تتوسط الشاشة والتي أخذت تبهت تبهت حتى اختفت تمامًا فهتفت:

- لا، ليس ثانية.

وظهر زياد أمام كتابه في ذلك القبو الضيق ببيت جد سلسبيل:

- حمدًا لله على سلامتك.

- لقد كانت تجربة قاسية أيها الكتاب.

- أنت لها.

- ولكنك فتحت البوابة لسيركت.

- لم أفتحها زياد إلا من بعد الاطمئنان على الجهة الأخرى من البوابة بأنها بأمان تام، ولكن قل لي ما نوع السحر الذي استخدمته؟ لقد راجعت كل صفحة في كتابي لم أجد ما فعلته.

- ما فعلته كان ينبع من داخلي.

- احترس زياد، أنت تقترب من السحر الأسود لو اخترق السحر قلبك، لن يستطيع أحد أن يساعدك، لقد أصبحت شخصية مشهورة الآن، صورتك تملأ الشاشات.

- أنت أيها الكتاب تعلم أننا لن نستطيع السماح بهذا، يجب أن نصحح كل ما حدث.

- ما الذي تقصده؟ إنني لا أستطيع إرجاع الزمان إلى الوراء.

ابتسم زياد:

- نعم أعلم ولكننا نستطيع معًا فعل أشياء أخرى، يجب أن نضع نهاية لكل هذا، اسمعني أيها الكتاب.

وأخذ زياد يضع سطور النهاية

نهاية بوابة العالم السفلي

وبداية الساحر زياد

ساحر بابل

****

النهـايـة

ساد الظلام الغرفة الصغيرة بمدينة طنجة ثم أشعل مصطفى الشمعة في منتصف المنضدة وهو يسأل:

- ما الذي حدث للتو؟

رد عليه كبير السحرة المغربيين حول المنضدة:

- لا شيء.

ثم نظر نحو سلسبيل التي تجلس بركن الغرفة:

- هذه الفتاة خدعتنا.

حاولت سلسبيل أن تدافع عن نفسها:

- ولكنني أحضرت لكم البردية التي طلبتموها.

نظر الجميع نحو المضدة حيث أصبحت البردية رمادًا، فاتجه مصطفى نحو سلسبيل وخطف من يديها حقيبة المال وهو يدفعها خارج الغرفة.

وما أن فتح الباب حتى اصطدمت أشعة الشمس القوية بعينيه مما دفعهما لتغطية عينيهما وسلسبيل تتسائل:

- كيف أشرقت الشمس بتلك السرعة لقد دخلت للتو ولم تتعدى الساعة العاشرة مساءً.

- لا أعلم ولكن لدي إحساس بأن ما فعلناه في الداخل له علاقة بالأمر.

ثم تحولت ملامحه للضيق مرة أخرى وهو يدفعها بعيدًا:

- ولكننا لم ندفع المال لكِ كي تقفزي بالزمن بضع ساعات، ارحلي هيا.

وبالفعل خطت سلسبيل بضع خطوات مبتعدة عن البيت بعد أن نزلت السلالم الصغيرة، ولكن ما إن فعلت، حتى لاحظت وجود شيء ثقيل بمعصمها فرفعت كم المعطف فإذا بسوار ضخم من الذهب الخالص على شكل عقرب يحيط بمعصمها وهناك ورقة صغيرة ملفوفة بين معصمها والسوار فتناولتها فإذا مكتوب عليها:

- ها قد حُلَّت كل مشاكلك.

ومن موقعه على بعد بنايتين منها وقف زياد يراقب قبل أن يرحل بهدوء ويدخل في شارع جانبي ليلقي صورة غرفته أمامه وينتقل إليها في لحظات.

ومن غرفته انطلق زياد نحو غرفة الكتاب فمر أمام التلفاز الذي ارتفع صوت المذيع به:

"ويعكف المفكرون والمثقفون والعلماء لدراسة تلك الظاهرة الغريبة حيث فقد تقريبًا معظم سكان العالم أي ذكرى حدثت لهم من الثانية عشر مساءً بتوقيت جرينتش حتى صباح اليوم بلا أي تفسير منطقي، كما وضعت مخابرات وجيوش العالم نفسها في حالة تأهب تحسبًا إن كان ذلك عملًا إرهابيًا أو هجومًا إليكترونيًا كان أو سلاح بيولوجي جديد".

ثم دلف زياد غرفة الكتاب الذي سأل:

- كل شيء كما طلبت زياد، اليس كذلك؟

- ولكن المعلم....

- لا يمكننا الوصول إليه في الوقت الحالي.

- ولكن أدونيس يستطيع.

- أدونيس استقر في العالم السفلي مؤقتًا، ثم أن جاد تحت حماية بيرسيفون مباشرةً، إنها ترد لك الجميل كما أنها تعرف جاد من قبل ذلك.

- حسنًا لا بأس.

ثم سكت زياد قليلًا ثم قال:

- هناك أمر أخير، هناك شخص قابلته في طنجة.

- منتصر، أليس كذلك؟

- نعم أيها الكتاب.

- لا تعبث فيما لا تستطيع فهمه، أنا نفسي أشعر أحيانًا أنني لا أفهم تلك الكائنات.

- أي كائنات؟

- ربما من الأفضل أن تعرف بنفسك.

فإذا بألبومات الصور تضيء حتى يقف الضوء على حرف التاء فيقترب منها زياد ثم ينظر إلى الكتاب متسائلًا.

- تركيا؟ لقد ظننتت أنه قال رومانيا.

قفزت صورة من بين ألبومات الصور لتقع أمام زياد على أرض الغرفة.

- تريد مني الذهاب إلى هناك؟ لا بأس، كما تحب.

وفي لحظة واحدة وجد زياد نفسه أمام متحف كبير بمدينة أسطنبول.

ظل زياد يسير بين السائحين حتى وجد نفسه أمام فوج إنجليزي تشرح لهم المرشدة عن محمد الفاتح الذي كانت رسمةٌ له تزين الحائط:

"تولى محمد الفاتح الحكم من بعد ما توفى والده مراد الثاني سنة ١٤٥١م وكان من أعظم إنجازاته فتح القسطنطينية، بعد أن زحف بجيش من مائتين وستة وخمسون ألف جندي من المشاة تصحبهم المدافع عام ١٤٥٣ م في معركة تاريخية وأسماها إسلام بول أي دار الاسلام ثم حرفت بعد ذلك إلى اسطنبول".

ثم استدارت نحو رسمة مقابلة لشاب نحيل حاد الملامح أبيض الوجه ذو شارب رفيع:

"هذه صورة واحد من ألد أعداء محمد الفاتح وأكثرهم دموية وشراسة، يدعى فلاد الثالث حاكم اقليم والاشيا أو والاكيا برومانيا وأشتهر باسم فلاد المخزوق حيث ولعه الشديد بالقتل بالخازوق وأنه تربى مع محمد الفاتح هو وأخوه رادو وكان ورث الحكم عن أبيه فلاد الثاني إلا أن نبلاء ترانسلفانيا الملقبون بالبويار قامو بغزو الأقليم، ففر فلاد الثالث

لينتهي به المقام في المجر حتى هجمت الجيوش العثمانية على المجر ثلاث سنوات بعد فتح القسطنطينية، فعاد فلاد إلى والاكيا ليستعيد عرشه بمساعدة عشيرته..."

قاطعها زياد وهو ينظر نحو رسمة لشاب مراهق أقل من العشرين بقليل صورته صغيرة بجانب فلاد:

- من هذا الرجل إذا سمحتي لي؟

- يدعى المنتصر بالله ويعتقد أنه قاتل فلاد الثالث ولكننا سنأتي لذكر هذا في النهاية.

قالتها المرشدة بضيق شديد بعد أن قاطع زياد جولتها، في حين ظل زياد ينظر إلى رسمة الفتى، إنه يقسم أنه منتصر الذي قابله بطنجة ولكنه فقط أصغر بعقدين من العمر ولكن لا يعقل أن يكون هو.

استمرت المرشدة في حديثها:

- كان فلاد الثالث يستمتع بالقتل فيروى أنه رمى أربعمائة طالب في النار، كما أنه أطعم أطفال لحم أمهاتهم اللاتي قتلهن وقطع أثداء بعض الأمهات وخيط مكانهم رؤوس أطفالهن، وجمع متسولي بلاده كلهم وأطعمهم ثم أشعل بهم النيران، وهاجم معقل البوبار وأعدم منهم ثلاثون ألف شخص وخزوق جيشًا بعثه إليه الفاتح بقيادة حمزة باشا، قتلهم جميعًا وخزوقهم وكانوا قرابة عشرون ألف جندي ولكن الفاتح بعث أخيه رادو، وكان قد أسلم ليستولى على العرش مكان أخيه ويضع أخيه سجينًا في هنجاريا ولكن رادو نفسه توفى بعده بأعوام ليخرج فلاد

الثالث ويولي نفسه على إقليم والاشيا ولكنه قتل على يد جيش محمد الفاتح بعدها بشهرين فقط وفُصِلَ رأسه وبُعِثَ إلى محمد الفاتح نفسه ليتأكد من موته.

ثم أشارت نحو الرسمة الصغيرة:

- رغم كوننا غير متأكدون من قاتل فلاد الثالث إلا أنه يعتقد أنه هذا الشاب، ولكن هذا الشاب نفسه اختفى واختفى معه جسد فلاد الثالث.

ثم قالت للمجموعة:

- والآن لنأتي بالاسم الأكثر شهرة لفلاد الثالث على مستوى العالم ولكن لنقول هذا الاسم يجب أن نعلم أن والده كان انضم لجماعة تدعى عصبة التنين فسمى نفسه ابن التنين أو دراكول.

وهنا تدخل أحد الحضور وكان روماني الأصل:

- ولذلك سمي هو دراكولا نسبة إلى أبيه، أليس كذلك؟

وهنا اتسعت عينا زياد:

لقد أدرك لتوه أنه أمام قاتل دراكولا نفسه

وعمره فوق الخمسمائة عام.

انتظروا عودة الساحر زياد

انتظروا ظهور منتصر

مابعد النهاية

وقف شخص ضخم الجثة بجانب طبيب ضئيل الحجم أمام جثة سيركت التي رقدت أمامهما عارية إلا من قطعة قماش تغطيها فسأل الضخم:

- هل انتهيت من تشريحها دكتور عادل؟

هز الدكتور عادل رأسه:

- تقريبًا يا آدم ولكننا لن نقوم بشقها كما اعتدتم قبل ذلك، هناك فحوص وأشعات مهمتها أن تقول لنا ما نريد من غير أن نشوه الجثة يا آدم.

قال آدم:

- لقد دفعت مبلغًا طائلًا لمحافظ المدينة وبعض أتباعه للحصول عليها بعد أن أعلن عن وجود جثة لسيدة ترتدي زي يشبه أزياء الفراعنة.

- أعتقد أن السيدة لن تمانع آدم من انفاق بعض أموالها في هذا المجال.

هز آدم رأسه نفيًا:

- بالعكس دكتور عادل لقد رحبت السيدة تمامًا، ولكن ما رأيك في تلك الجثة؟

- لقد فحصتها وفحصت الحمض النووي الخاص بها.

- هل هي منهم؟ هل هي من قرية الفراعنة؟

هز الدكتور عادل رأسه نفيًا

- لا يا آدم، إنها غير بشرية بالمرة، وعمرها آلاف الأعوام.

تمت بحمد الله

الرواية القادمة آخر قرى الفراعنة

الرواية السابقة نيركا